33

سلسلة الدروس الثقافية

مواعظٌ قرآنيّة





الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org
شبكة المعارف الإسلامية



مواعظ قرآنيّة

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

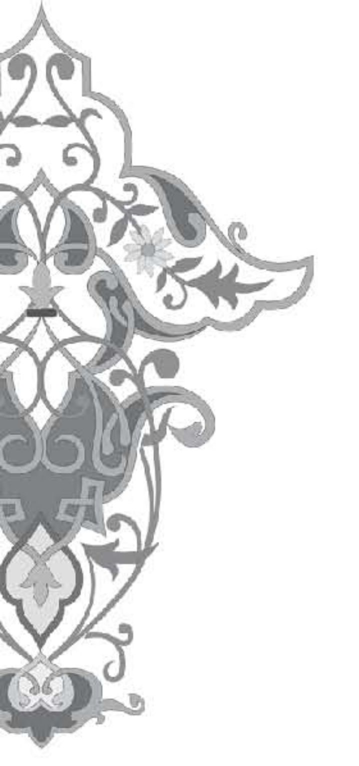
الكتاب: مواعظ قرآنيّة

تأليف: مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى - حزيران 2011 م - رجب 1432 هـ





مواعظ قرآنيّة



مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني

www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمـد للّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه وسلّم على أشـرف أنبيائه المرسلين محمّد بـن عبد اللّه وعلـى آله الطيّبيـن الطاهريـن، وأصحابه المنتجبيـن، والتابعين لهم مـن المؤمنين، الّذين جعلوا القرآن لهم منارة هـدى ومحجّة صلاح وتربية، ومسلكاً ومنهاجاً، يقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾[1].

وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾[2].

فقـد دأب مركـز نون للتأليف والترجمـة، وطوال مسيرته التأليفيّـة الهادفة، إلى اعتمـاد القرآن الكريـم مستنداً أساساً في كلّ فكرة أو طـرح يقدّمه، وقد كانت هذه السلسلـة الثقافيّـة الفصليّـة باكورة هـذه التآليف الهادفـة، المنطلقة مـن القرآن والمتمسّكة بأهل البيت عليهم السلام كمرجع وعِدْل للقرآن لا ينفصل عنه.

وبعد كتاب «**وموعظة للمتّقين**» أردنا متابعة المسيرة التربويّة الّتي تعالج مواضيعَ هي محلّ ابتلاء في المجتمع، نجد أنفسنا في قبالها مكلّفين ببذل ما أمكن لمواجهتها وتصويب مسار الأفراد نحو البيئة الخُلُقيّة الصافية. ومن يراجع العناوين المطروحة

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٨٩.

في هذا الكتاب يجد فيها أموراً أمست اليوم حديث كلّ مؤمن اهتمّ بصلاح نفسه وعائلته ومجتمعه وبرضا ربّه؛ من العفّة والحياء إلى الحياة الزوجية، فالتربية للأبناء إلى التهجّد في الليل والإنفاق وغير ذلك.

ونحن حاولنا بما أمكن لهذا الكتاب أن يحويه، معالجة هذه الأمور الهامّة ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وجميع المؤمنين لما فيه الخير والصلاح والعافية، إنّه سميع مجيب.

مركز نون للتأليف والترجمة

1

العفّة والحياء

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[1]

(١) سورة القصص، الآية: ٢٣.

قوى النفس وأهميّة تهذيبها

كلُّ إنسان إذا رجع إلى نفسه ووجدانه وتأمّل سيجد أنّ فيه عدّة قوى: قوّة الغضب، وقوّة الشهوة، وقوّة الوهم، وقوّة العقل.

هـذه القـوى في الواقـع هي الّتي مـن شأنها التحكُّم بقـرارات الإنســان وبالتالي بمصيـره في الدنيـا والآخرة، وهي متصارعة فيمـا بينها، أيّها يكـون الآمر المطاع والمسيطـر، لأنّ كلّ قـوّة تريد إثبات مقتضاها دون أن تأبـه بما يقتضيه غيرها ولذا يقع التصادم في مقتضياتها.

والإنســان مأمور أن يُحكِّم القوّة العاقلة لتكون هي السلطان، وهي الآمر والناهي، وتخضـع لها القـوى الأخرى، فتُقـدم عندما تأمرهـا القوّة العاقلـة، وتنزجر عندما تزجرهـا، فتكـون القوى الأخـرى بمثابة الجنـود المطيعة لسلطة واحـدة هي سلطة العقل.

وحيـث إنّ هذه القوى قد تجمح إلى الإفراط، وقد تميل إلى التفريط، وقد تعتدل، فـلا بُـدّ من بذل الجهـد لردّها إلى الاعتـدال، وهو أمر في غايـة الصعوبة ويستلزم جهـداً عظيماً في طريق تحقيقه والوصول إليه، إلا أنّه في غاية القداسة أيضاً بل هو غايـة بعثات جميع الأنبياء عليهم السلام، وهو هـدف الأوصياء عليهم السلام ومبتغى الحكماء، بل هو غاية الخلقة.

وقـد صرّح خاتم الأنبياء المصطفى محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم بذلك بقوله: «**إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[1].

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ١٦، ص ٢١٠.

والاعتدال يتمثّل بالأخذ بالأواسط من الأمور، وهو ما يأمر به العقل السليم ويُرشد إليه الشرع المبين، وكلّ سير باتّجاه أحد الطرفين مذموم، والوصول إلى أحدهما هو الوقوع في الرذيلة.

معنى العفّة

من القــوى الأساس المكوّنة للنفس الإنسانية والتي أُمـر الإنسان بتهذيبها وردّها إلى الاعتدال:

القــوّة الشهويّة ويُطلق عليها القوّة البهيميّة لأنّ مقتضاها يشترك فيه الإنسان مع الحيوانات من التلذُّذ بشهوتي البطن والفرج.

ولا تعنــي هــذه التسمية أنّ هــذه القوّة سلبيّة، أو لا فائدة مــن وجودها، بل إنّ الله تعالى قد خلقها لمنفعة نوعيّة مهمّة للإنسان، ولكن عندما لا تُهذّب تأخذ ذلك الطابع السيّئ وتتحوّل إلى إحدى المهلكات للإنسان.

ففائــدة القوّة الشهويّة الإبقاء على البــدن والنسل، فالبدن هو آلة النفس في هذه النشــأة المادّيّة فتُحفَـظ الروح بحفظه، والقــوّة الشهويّة تدفع الإنســان نحو الغذاء والنــكاح من خلال شهوتــي البطن والفرج ليــدوم البدن والنسل، وكذلــك الشهوات الأخرى لها منافعها بشرط اعتدالها وتهذيبها.

فتحصيــل فائــدة القــوّة الشهويّة لــدى الإنســان بنظــر الشرع والعقــل مشروط بتهذيبها، فلا بُدّ من بذل الوسع لردّها إلى الاعتدال كي تتحقّق غايتها فتزكو النفس ويحيا صاحبها الحياة الإنسانية الّتي هي غاية الخلق.

فــإذا هُذِّبت «القوّة الشهويّة» واعتدلت وصارت تأتمر بأوامر العقل والشرع تُصبح عفيفة، وانتُزع منها معنى في غاية الحسن والفضيلة نُطلق عليه عنوان العفّة.

فالعفّــة إذاً هــي صفة تلحق نفس الإنســان بعد تهذيبه للقــوّة الشهويّة وردّها إلى الاعتدال من غير إفراط فيها ولا تفريط أي من غير شَرَه ولا خمود.

القوّة الشهويّة خطرة وتهذيبها من الجهاد الأكبر

وبمـا أنّ من أعظم الشهـوات شهوتي البطن والفرج فإنّ خطـر هاتين الشهوتين عظيم إلى درجةٍ أنّ رسول الله ﷺ كان يُصرِّح بالخوف منهما على أمّته:

قـال ﷺ: «**ثلاث أخافُهنّ على أمّتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلّات الفتن، وشهوة البطن والفرج**»(١).

وقال ﷺ: «**أكثر ما يلج به أمّتي النار الأجوفان: البطن والفرج**»(٢).

وقال ﷺ: «**من وقي شرّ لقلقه** (لسانه) **وذبذبه** (فرجه) **وقبقبه** (بطنه) **فقد وجبت له الجنّة**»(٣).

وأيضـاً بما أنّ مقتضاهما قويّ جدّاً فإنّ تهذيبهما وردّهما إلى الاعتدال شاقٌّ جدّاً ويستلـزم جهاداً مريراً مع النفس، وهو العفّة، ولكن أفضل الأعمال أحمزها وأشقّها، فمـن قام بهـذه المهمّة ووصل إلى فضيلـة العفّة يكون في درجـة عالية عند الله من حيـث المقام والقرب، ومن حيث الثواب والأجر، فلذلك ورد في الروايات أنّه ما عُبد الله تعالى بأفضل من عفّة بطن وفرج.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج**»(٤).

وعـن أمير المؤمنيـن عليه السلام: «**ما المجاهد الشهيـد في سبيـل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعفّ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة**»(٥).

وعنه عليه السلام: «**أفضل العبادة العفاف**»(٦).

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٧٩.

(٢) م.ن.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج٦٣، ص٣١٥.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٨٠.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٣٣.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٧٩.

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من عشق وكتم وعفّ وصبر، غفر اللّه له وأدخله الجنّة**».

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال لرجلٍ عندما قال له: إنّي ضعيف العمل قليل الصيام، ولكنّي أرجو أن لا آكل إلا حلالاً: «**أيُّ الاجتهاد أفضل من عفّة بطن وفرج؟**»[1].

وفي نقل المحاسن قال الرجل: إنّي قليل الصلاة قليل الصوم ولكن أرجو أن لا آكل إلّا حلالاً، ولا أنكح إلّا حلالاً، فقال: «**وأيُّ جهاد أفضل من عفّة بطن وفرج؟!**»[2].

يتبيّن من هذه الروايات الشريفة أمران:

١- أنّ التعفُّف والارتداع عن الشهوات المذمومة من موجبات الأجر والدرجات الرفيعة عند اللّه تعالى.

٢- كم هو صعب وشاقّ هذا الأمر حتّى يوضع في مصافّ الشهادة!

ولماذا ليس الشهيد أعظم أجراً من الّذي قدر فعفّ؟

إنّ الشهيد يُقدِّم نفسه في سبيل اللّه تعالى، والمتعفِّف يدوس على نفسه ويقتل فيها دوافعها غير المشروعة مرّات ومرّات ما دام له شعور في هذه الحياة، فإذا كان الشهيد يُقتل مرّة فالعفيف يقتل دوافع نفسه السيّئة مراراً!

درجات العفّة

الأولى: فالعفّة اللازمة الواجبة هي العفّة عن المحذورات الشرعيّة المتعلِّقة بالشهوات، فبالنسبة لعفّة البطن في هذه المرتبة هي أن يرتدع المكلَّف عن أكل الأشياء المحرّمة، أو شرب المشروبات المحرّمة كأكل لحم الخنزير أو اللحوم غير المذكّاة التذكية الشرعية أو كشرب الخمر وكلّ مسكر أو أكل النجس، وكذلك يرتدع عن أكل الأموال المحرّمة الّتي تكون نتاجاً للمعاملات المحرّمة كالربا والغشّ والنصب والاحتيال والقمار....

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، باب العفّة، ص ٧٩.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٦٨، ص ٢٧٣.

الثانيـة: وأمّـا العفّة بالمرتبـة الثانية فهي التورّع عن المذمومـات والمكروهات في الشريعة، مثلاً: إذا ترك الامتلاء من الطعام أو ترك الطعام في المواضع العامّة، أو دافع شهوة الطعام كي لا تذهب مروءته فهي عفّة بمرتبة ومقام آخر.

الثالثـة: والعفّـة في مرتبة ومقام آخر تتجلّى في أن يترك ما اشتبه عليه من الطعام فهو الورع، مثلاً: إذا اشتبه في اللحم هل هو مذكّى أم لا فإنّه لا يأكله، وإذا اشتبه في المكسب أنّه ربا أم لا فإنّه يتورّع ويتعفّف عنه مع أنّه قد يُقال إنّ الأصل العمليّ البناء على الحلّيّة.

هذه العفّة في الطعام وفي الأموال والكسب.

وأمّا العفّة في شهوة الفرج ومتعلّقاتها

فالمرتبـة الأولـى: أن يكون عفيفاً عن الحـرام بأن لا يزني ولا ينظر النظر الحرام إلى الأجنبية ولا يسمع الكلام المثير الحرام، ولا يخلو بالأجنبية..

والمرتبة الثانية: أن يترك المكروهات ممّا يتعلّق بهذه الشهوة فهذه درجة أرقى من العفّة، كأن يترك النظر إلى ما يُكره النظر إليه من المرأة أو الأفلام والمسلسلات غير المحرّمة ولكنّها مكروهة، وتترك المرأة بعض التصرّفات كمضاحكة الرجال والمـزاح معهم ومباسطتهم الحديث وإن لم يصـل إلى الحرام، ويترك الاستماع والاختـلاط إلا مـع الضرورة فإنّ الاختـلاط قد يكون محرّماً وقـد يكون مكروهاً فهذا كلُّه تعفُّف بشأن شهوة الفرج وهو بدرجة أرقى من الدرجة السابقة لأنّ هذه الدرجة تشتمل على المرتبة السابقة وزيادة.

والمرتبة الثالثة: من عفّة الفرج هي ترك ما يُشتبه به بأنّه محرّم، مثلاً: لو لبست المـرأة الحجاب بطريقة معيّنة تكون من ناحيـة مغطّية لتمام الجسم ومن ناحية ثانية يكون اللباس ملتصقاً بالجسم بحيث قد يوجب الإثارة أو مثلاً الحجاب مع بعض الألوان الملفتة ونمط الخياطة الخاصّ.

فالخلاصة: العفّة ليست مرتبة واحدة وإنّما هي مراتب متعدِّدة، كلّما ارتقى المكلَّف مرتبة تكون درجة عفّته أرقى وأعظم، ومقامه عند الله أكبر، وتكون العفّة أشقّ وأجهد.

وامنن على نسائنا بالحياء والعفّة

ومن الملفت في دعاء للإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف أنّه يدعو لمجمل أصناف الأمّة، كلٌّ بما يُناسبه ويقوّمه ويحتاج إليه، إلى أن يصل إلى الدعاء للنساء فيدعو لهنّ بقوله عليه السلام: «**وامنن على النساء بالحياء والعفّة**»، فلم يدعُ لهنّ بالتقوى مثلاً أو بالعلم أو بالغنى، وإنّما بالحياء والعفّة؛ لأنّ هاتين الخصلتين في غاية الأهميّة للمرأة على صعيدها الشخصيّ الذاتيّ في التزامها وورعها وقربها من خالقها، وعلى صعيد صلاح المجتمع الّذي تُشكّل المرأة أحد مكوّناته الأساس، تأمّل في النكتة الّتي ذكرتها لك لترى مدى أهميّة أن تكون المرأة عفيفة وتمتلك الحياء:

«**.. وتفضّل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى المتعلِّمين بالجهد والرغبة، وعلى المستمعين بالاتّباع والموعظة، وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة، وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الشباب بالإنابة والتوبة، وعلى النساء بالحياء والعفّة...**»[1].

إنّ حياء المرأة وتعفُّفها هما بمثابة المكابح في وجه الشهوة العارمة الّتي قد تجتاح المجتمع فتقضي على كلّ قيمه الإنسانية وتذره مجتمعاً منحلّاً مهشّماً ضعيفاً مهترئاً تطمع فيه الأعداء ويستهين به المتربّصون بالقيم.

إنّ الشهوة عند الرجل بمثابة الدافع القويّ الّذي يجعله يُقدم ويتجرّأ ويقتحم ويتوثّب، ولكنّ المرأة بتعفُّفها وحيائها هي الّتي تكبح جماحه، وتردعه، فتصوَّر لو أنّ المكابح فسدت والوقود يتوهّج بسبب المهيّجات والمثيرات الّتي باتت لا تُحصى عدداً ولا تُدرك كيفاً، والسير بمنحدر سحيق.

---

(١) صحيفة المهدي عليه السلام، جمع الشيخ جواد القيومي، ص ١٨.

ماذا يُتوقّع مع هذا التوصيف للواقع؟!

من الطبيعيّ الحكم بالهلاك على الفرد ويتبعه المجتمع!

ومن أروع الصور الّتي يرسمها القرآن الكريم للحياء والعفّة من ناحية وللشهامة والرجولة والمروءة من ناحية أخرى، ما يذكره تعالى في سورة القصص عمّا جرى بين كليم الله موسى عليه السلام وبين ابنتي نبيّ الله شعيب عليه السلام [1]:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ وهو بئر كانت لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ أي: جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البئر. ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تحبسان وتمنعان غنمهما من الورود إلى الماء، أو تكفّان الغنم عن أن يختلط بأغنام الناس ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما، وما لكما لا تسقيان مع الناس، وطبعاً هذا مظهر شهامة ورجولة يُعلّمنا كيف لا نقف مكتوفي الأيدي إذا واجهنا ضعيفاً يحتاج إلى المساعدة بل نبادر إلى إعانته ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾ عند المزاحمة مع الناس ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أي حتّى ينصرف الناس، فإنّا لا نطيق السقي، فننتظر فضول الماء، فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر على أن يتولّى السقي بنفسه من الكبر، ولذلك احتجنا، ونحن من النسوة، أن نسقي الغنم. وإنّما قالتا ذلك اعتذاراً إلى موسى في الخروج بغير محرم، فإنّ المرتكز في ذهنيهما أنّ الفتاة لا ينبغي أن تكون في هذا الظرف والموقف، وهو كلام يُعبّر عن التربية النبوية، وعن الفطرة غير المتحوّلة في مسألة احتجاب المرأة، وعدم الاختلاط بالرجال، فهذا هو الّذي شعرت البنتان بحاجتهما إلى الاعتذار لأجله ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ قيل: رفع لأجلهما حجراً عن بئر، كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها إلا عشرة رجال، وسألهم أن يعطوه دلواً، فناولوه دلواً، وقالوا له: انزح إن أمكنك. وكان لا ينزحها إلا عشرة، فنزحها وحده، وسقى أغنامهما، ولم يستق إلا ذنوباً واحداً، حتّى رويت الغنم.

---

(١) راجع: سورة القصص، الآيات: ٢٣ـ٢٨.

قال ابن إسحاق: فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها، فأنكر شأنهما، وسألهما، فأخبرتاه الخبر، فقال لإحداهما: عليّ به، فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه، فذلك قوله ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي: مستحيية معرضة على عادة النساء الخفرات، وقيل: أراد باستحيائها أنّها غطّت وجهها بكمّ درعها.

وعن الحسن، قال: «**فوالله ما كانت ولّاجة، ولا خرّاجة، ولكنّها كانت من الخفرات اللاتي لا يُحسنّ المشي بين أيدي الرجال، والكلام معهم**».

وهذا أيضاً يُدلِّل على مدى الحياء والخجل الّذي هو من شأن المرأة فطرياً، وهو ما ينبغي تعميمه بين بناتنا وأخواتنا ونسائنا، وهو ما يدعو به إمام الزمان ﷺ لنساء المسلمين «**الحياء والعفة**».

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أي: ليُكافئك على سقيك لغنمنا.

فلم تقل إنّي أدعوك أو إنّا ندعوك بالجمع، بل نسبت الدعوة لأبيها، وهذا أيضاً يُضيء على جانب من جوانب أدب تعاطي المرأة مع الرجل الأجنبيّ.

قال أبو حازم: لما قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، كره ذلك موسى، وأراد أن لا يتبعها، ولم يجد بدّاً من أن يتبعها، لأنّه كان في أرض مسبعة، وخوف. فخرج معها، وكانت الريح تضرب ثوبها، فتصف لموسى عجزها. فجعل موسى يعرض عنها مرّة، ويغضّ مرّة، فناداها: يا أمة الله! كوني خلفي، وأرني السمت بقولك..

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أي: إحدى ابنتيه، واسمها صفورة، وهي الّتي تزوّج بها، واسم الأخرى ليا. وقيل: إنّ اسم الكبرى صفراء، واسم الصغرى صفيراء ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾ أي: اتّخذه أجيراً، ولعلّها كانت ترغب فيه زوجاً ولكن بيّن القرآن الكريم ما ينبغي للمرأة من عدم التصريح عند إرادتها لرجل واستبدال التصريح بالتعريض والتلويح، فهي مطلوبة بالفطرة والرجل طالب.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: خيـر من استعملت من قوي على العمل، وأداء الأمانة. قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: وما علمك بأمانته وقوّته؟

قالت: أمّا قوّته فلأنّه رفع الحجر الّذي لا يرفعه كذا وكذا. وأمّا أمانته: فإنّه قال لي: إمشـي خلفي، فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك، فتصف لي عجزك. وقيل الأمين في غضّ طرفه عنهما، حين سقى لهما، فصدرتا، وقد عرفتا قوّته وأمانته. فلمّا ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه.

فانظـر أيُّها المؤمن لهذه العفّة العظيمة للنبيّ الكريم فإنّه تعفّف حتّى عن النظر غيـر المقصود الّـذي قد يقع عندما يُطلـق طرفه، وإنّه تعفّف عـن النظر إلى جسم المرأة حتّى من وراء الحجاب والثوب.

في الرواية: «**إذا استطعت أن لا تنظر إلى ثوب امرأة فافعل**».

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾ أي: أزوّجك ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾. وفـي هـذا الكلام مـن النبيّ شعيـب عَلَيْهِ السَّلَامُ درس آخـر من دروس مراعـاة حيـاء المـرأة وكرامتها، حيـث ردّد الأمر بين الابنتين لكـي لا يخدش حياء البنت المتكلِّمة.



شابٌّ قدوة للشباب في العفّة:

روي عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام قال:

«خرجت امرأة بغيّ على شباب من بني إسرائيل فأفْتَنَتْهُم.

فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً رآها أفتنته.

وسمعت مقالتهم، فقالت: والله لا أنصرف إلى منزلي حتّى أفتنه.

فمضت نحوه في الليل، فدقّت عليه.

فقالت: آوي عندك، فأبى عليها.

فقالت: إنّ بعض شباب بني إسرائيل راودوني عن نفسي، فإن أدخلتني، وإلا لحقوني وفضحوني. فلمّا سمع مقالتها، فتح لها، فلمّا دخلت عليه، رمت بثيابها، فلمّا رأى جمالها، وهيئتها وقعت في نفسه. فضرب يده عليها، ثمّ رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فأقبل حتّى وضع يده على النار.

فقالت: أيّ شيء تصنع؟

فقال: أحرقها لأنّها عملت العمل.

فخرجت حتّى أتت جماعة بني إسرائيل، فقالت: الحقوا فلاناً، فقد وضع يده على النار. فأقبلوا، فلحقوه وقد احترقت يده!»[1].

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج١٤، ص٤٩٢.

2

المسؤوليَّة في الحياة الزوجيَّة

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

المودّة والرحمة

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: جعل لكم من شكل أنفسكم «أزواجاً».

وإنّما منَّ سبحانه علينا بذلك، لأنّ الشكل إلى الشكل أميل ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ أي: لتطمئنّوا إليها، وتألفوا بها، ويستأنس بعضكم ببعض. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ يريد بين المرأة وزوجها، جعل سبحانه بينهما المودّة والرحمة، فهما يتوادّان ويتراحمان، وما شيء أحبّ إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما. والمودّة هي المحبّة الّتي تستتبع عملاً بمقتضاها ولا تقتصر على مجرّد الشعور القلبيّ، والرحمة: الشفقة. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ أي: في خلق الأزواج مشاكلة للرجال ﴿لَءَايَٰتٍ ﴾ أي: لدلالات واضحات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ذلك.

لأنّهم إذا تفكّروا في الأصول التكوينية الّتي تبعث الإنسان إلى بناء المجتمع من الذكورة والأنوثة الداعيتين إلى الاجتماع المنزليّ والمودّة والرحمة الباعثتين على الاجتماع المدنيّ والأنس ثمّ ما يترتّب على هذا الاجتماع من بقاء النوع واستكمال الإنسان في حياتيه الدنيا والأخرى، لعثروا من عجائب الآيات الإلهية في تدبير أمر هذا النوع على ما يبهر عقولهم ويدهش أحلامهم، فالإنسان يسدّ من خلال الزواج حاجات ودوافع فطرية منغرسة في حاقّ نفسه وأعماق فطرته، لا بُدّ له من قضائها وإلا يبقى في حالة اضطراب داخليّ وبحث باطنيّ عمّا يسدّها ولو كان بطرق غير إنسانية، فهذا في الواقع نفع دينيّ شخصيّ ومجتمعيّ، وهو أكبر مساعد على عفّة النظر وعفّة الفرج اللذين هما من أفضل العبادة.

لكي نتكلّم عن مقوّمات الحياة الزوجية إسلاميّاً وبالمنظار الإلهي لا بُدّ لنا أوّلاً أن نُلقي نظرة على كيفية نظرة الإسلام والقرآن لبناء البيت الزوجي والعلاقة الزوجية، إلى أيّ حدٍّ يُقدِّر ويحترم هذا البناء وهذه العلاقة؟

إنّ تقديـر الإسلام للعلاقة الزوجية يُصنّف في أعلى درجات التقديس والاحترام وذلك من خلال عدّة أمور:

أوّلاً: نجد الآية القرآنية تجعل خلق الزوج لزوجه آيةً من آياته تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم﴾ إذاً هي أمر يُعطيه الخالق أهميّة مميّزة حيث جعله آية من آياته.

ثانيـاً: ختم الآيــة سبحانه وتعالى بقولـه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي أكّـد كون العلاقة الزوجية آية ودعا إلى التفكّر والتدبّر في مكتنفات هذه الآية لما لها من أبعاد لطيفة جديرة بأن تُستنبط عن طريق التفكّر.

ثالثاً: الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما بُني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من التزويج**»[١].

وهــذا يؤكّد على أنّ الأبنية الكثيرة الّتي هي ضمن الإطار الإسلاميّ، بعضها أحبّ إلــى اللّه تعالى من بعض وأحبّها على الإطلاق التزويج، وهذا من أعظم التعابير عن الأهمية والتقدير من قبل اللّه تعالى للبيت الزوجيّ!

وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتُطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**»[٢].

إذا كانت أهمية هذه المؤسّسة العائلية لهذا الحدّ، وهذه المرتبة السامية بالنظر الشرعــيّ الإسلاميّ فلا بُدّ أن نعرف كمؤمنين متديّنين عظم المسؤولية فيها، وذلك من خلال عدّة أمور:

أ- المؤمــن يُحبّ ما أحبّ اللّه، فـإذا كان البناء الزوجيّ أحبّ الأبنية الإسلامية إلــى اللّه، فالمؤمن لا بُــدّ أن يُحبّه ويكون لديه من أحــبّ المؤسّسات، وإذا كان كذلــك فإنّــه سيعتني به، ويُعطيه أهمية قصوى ليكـون بناءً متيناً قويّاً ومحقِّقاً للأهداف الإلهية الّتي سنذكرها فيما سيأتي.

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٢٠، ص ١٥.

(٢) م.ن، ص ٤١.

ب- سيكون حذراً دائماً من إلحاق أيّ ضرر بهذه المؤسّسة المحترمة غاية الاحترام لدى الله سبحانه وتعالى، لأنّه لو قصّر أو تهاون أو حقّر ـ لا سمح الله ـ هذا البناء فإنّه سيكون قد وضع ما رفعه الله، وحقّر ما عظّمه الله تعالى وهذا سيكون من المهلكات..!

كيف إذا رأيت أحداً يريد تخريب بناء مقدّس كالمسجد، فإنّك تعتبره خاطئاً بل مجرماً، فكذلك العلاقة الزوجية هي بناء محترم غاية الاحترام في الإسلام بل بنصّ الرواية: «**ما بني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله من التزويج**» فإنّ من أراد تخريبه وإلحاق الضرر به فإنّه سيكون قد ارتكب إحدى الموبقات.

وهذا طبعاً يُحمِّل المؤمن مسؤولية كبرى، كيف يرعى؟ كيف يحمي؟ كيف يكون حكيماً في معالجة الأمور الموهنة للحياة الزوجية؟ كيف يُعطي وقتاً ويبذل طاقة ويولي أهمية لهذه الحياة العائلية، ولا يكون مستصغراً لقدرها ولا متهاوناً بشأنها؟

وهذا بدوره يحتاج إلى علمٍ وحكمة وفنٍّ في التعامل ومهارة في التعاطي وتغافل عن السفائف والصغائر وتعقّل وتحمُّل وتصبُّر.

رابعاً: إنّ الله تعالى قد أمر الإنسان المكلّف بأن يقي نفسه النار، وقرن هذا الأمر بأمرٍ آخر في نفس السياق وهو أمره بأن يقي أهله النار أيضاً، وهذا يعني تكليفاً إلزامياً وجوبياً يُحمِّل الإنسان الّذي يتّخذ أهلاً «من خلال بناء الأسرة والحياة الزوجية» مسؤولية عظمى تجاههم، وهذه المسؤولية الكبيرة شعر بها بعض المؤمنين بعد نزول الآية وعبّر عن ذلك للرسول ﷺ.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لمّا نزلت هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1] جلس رجل من المؤمنين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي وكُلّفت أهلي.**

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

فقال رسول الله ﷺ: **حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عمّا تنهى عنه نفسك»**[(١)].

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال عليه السلام: «**علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم**»[(٢)].

فإذاً لاحظوا المسؤولية الملقاة على عواتق المؤمنين تجاه عوائلهم.

فعلى المؤمن أن يأمرهم بما يأمر به نفسه، وينهاهم عما ينهى عنه نفسه، يعني إذا رأيت ابنك يتكلّم كلام الفحش فتكليفك أن تنهاه، وإذا رأيته يُصاحب أصدقاء السوء فعليك أن تُبادر إلى نصيحته بالامتناع عن مصاحبة الفاسدين، وإذا رأيته يتهاون في صلاته فعليك أن تأمره بأداء الصلاة والاهتمام بأوقاتها وشرائطها، فإذا رأيته مثلاً لا يستيقظ لصلاة الفجر فعليك أن تُبادر إلى أمره بالاستيقاظ لأدائها، وكذلك عليك أن تنهاه عن الكذب والنميمة والغيبة والظلم والعقوق، ومُرْه بأضدادها، فإذاً القضيّة ليست بالسهولة الّتي نتصوّرها، بل هي مسؤوليّة دفعت بعض المؤمنين الّذين يستشعرون المسؤوليّة الرساليّة بكلّ أبعادها إلى أن يبكي.

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام يُحمِّلنا هذه المسؤولية بالبعد التعليميّ للخير «**علّموا أنفسكم وأهليكم الخير**». فلا تبخل على أهلك بالعلم الّذي تعلّمته، ولا تقل مللت من الكلام، ولا أجد عندي طاقة للحديث والموعظة، وتكفيني همومي المعيشية وهموم الحياة.

فهذا واجب عليك يأمرك به أمير المؤمنين عليه السلام.

وبالبعد التأديبيّ «وأدّبوهم» أي اذكروا لهم الآداب وتابعوهم لكي يتحلّوا بها. فالتعليم ليس هو التأديب، فقد يلقي شخص المعلومة إلى آخر ويتلقّاها الآخر، إلا أنّه لا يعمل ولا يتخلّق بها، فهذا تعليم وليس تأديباً. فالتأديب هو تعليم وزيادة، هو

(١) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج ٥، ص ٦٢.

(٢) كنز العمّال، المتّقي الهندي، ج ٢، ص ٥٤٠.

تعليم الآخر الآداب ومتابعته بتكرارها والتذكير بها ومداومة الحثّ عليها حتّى تُصبح جزءاً ملتصقاً به تصدر تصرّفاته عنها فيكون مؤدّباً حينئذ.

وهـذا قد يستدعـي تنويعاً في الأساليـب، وحشد الأمور الإقناعيّـة، وتقريبها من فهمـه وذهنه، وتحريـك دوافعه الحسنـة، وتشجيعه، وقـد يستدعي بعض الأحيان الحزم، والتقريع، والتأنيب، إلى أن يصل الأمر إلى العقاب.

ما هو المنطلق للحياة الزوجية؟

إنّ المنطلـق الأوّل والأسـاس هو الوصول إلـى رضا الله تعالـى والتقوى للنجاة مـن عـذاب الله تعالى. هـذا الضابط الأوّلـي والمنطلق الأساس الّـذي من خلاله تُبنـى الحياة الزوجيـة وإليه ترجع وبـه تنضبط. فكلٌّ من الرجـل والمرأة عليه أن يكـون همُّـه قبل الزواج وبعد الـزواج هو تحقيق ما يُريده الله عـزّ وجلّ، وأن يحكّم تعاليـم الشريعـة في حياته مع الطـرف الآخر، وأن يخاف الله تعالـى من التجاوز أو التغطرسـ أو الظلـم أو الاستضعـاف أو الاحتيال لهدر حقوق الآخـر أو خيانته. فهنـاك رسالـة عائلية منبثقة مـن الدِّين الحنيف لا بُـدّ من تحمُّلهـا بأحسن وجه والعمـل على إنجاحها والوقوف سدّاً منيعاً في وجه إفشالها وإحباطها بقدر ما يسع الحـال، يقـول تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

فالإنسـان يتـزوّج لكي يُنفِّذ رغبـة رسول الله ﷺ الّذي أمـر بالتزويج وجعله من سنّتـه ويؤسّسـ عائلة عنوانهـا الأساس تقـوى الله في علاقاتها فيما بيـن أفرادها، الـزوج مع الزوجة، والأب وألام مع الأولاد، والأولاد مـع الوالدين، والأخ مع أخيه. كلّ هـذه الصنوف من العلاقات يجب أن يحكمها قانـون تقوى الله والطاعة له والخوف من مخالفته، وينبغي أن نتحمّل المسؤولية في ذلك على أكمل وجه.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

مقوّمات الحياة الزوجية إسلامياً

وهناك مقوّمات أساس للوصول إلى الهدف المنشود دينياً من الحياة الزوجية:

١ - السكينة والطمأنينة

«فكلّ واحد من الزوجين ناقص في نفسه مفتقر إلى الآخر ويحصل من المجموع «الزوج والزوجة» واحد تامّ من شأنه أن يلد وينسل. ولهذا النقص والافتقار يتحرّك الواحد منهما إلى الآخر حتّى إذا اتّصل به سكن إليه، لأنّ كلّ ناقص مشتاق إلى كماله وكلّ مفتقر مائل إلى ما يُزيل فقره، وهذا هو الشبق المودع في كلٍّ من هذين القرينين»[١].

فالأصل أن يسكن الزوج إلى زوجه، وهذا لا يكون إلا بالانسجام. فمن يطمع بالأنس بمن لا ينسجم معه يكون طامعاً في غير مطمع. وهذا يحتاج إلى رفع العوائق والمنفّرات الّتي تمنع من الانسجام. وهذا يُرجعنا إلى الشعور بالمسؤولية وعدم الاستهانة بالحياة الزوجية، سواء من قِبَل الزوج أو الزوجة، فالانسجام له أسبابه الموضوعية ولا يأتي هكذا من قدرة قادر.

فعلى كلٍّ من الرجل والمرأة أن يُسخّر وقتاً لفهم الآخر، فالأمزجة تختلف، والعادات، والمرتكزات، وأساليب مقاربة الأمور، وكيفية مواجهة الأحداث السارّة أو المحزنة.

والخلاصة: الانسجام الّذي يولّد السكن والاطمئنان والأنس له ثمن ولا يأتي بالمجّان.

٢ - المودّة

وهي المحبّة المصاحِبة للتعبير الفعليّ.

وأيضاً هذا الأمر لا يتحقّق إلا بالعمل الدؤوب المشتمل على الإحسان إلى الآخر والتضحية

---

(١) تفسير الميزان، السيّد الطباطبائي، ج ١٦، ص ١٦٦.

فــي سبيله، والتحمُّل منه، والموافقــة، وعدم المنافرة، وعدم التعاكــس المستمرّ، والعمل الدائــب وبذل قصارى الوسع للوصــول إلى الاتّفاق بأسرع وقــت ممكن عند الاختلاف في الرأي وعدم إطالة فترة المنازعة والاختلاف، فإنّه مما يُمرض المودّة. فينبغي عدم تكثير التنــازع وتكــراره، فلا نستطيع أن ننفي الاختلاف في الآراء مــن رأس لأنّه أمر غير ممكن واقعــاً، ولكــن لا بُدّ من الذكاء والمهــارة والفنّ في التعامل للتخطّي السريــع والوصول إلى الاتّفاق بسرعة، ولا بُدّ من التغافل عن كثير من صغائر الأمور، فعن إمامنا الباقر عليه السلام:

«**صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل**»[1].

وتلاحظون هذه الأمور كم هي شاقّة، فيها جهاد للنفس الّذي هو الجهاد الأكبر.

٣- الرحمة

من كلٍّ من الرجل والمرأة للآخر. ورحمة كلٍّ منهما لها مواردها الخاصة.

فالرجل يرحم المرأة:

- إذا تسرّعت فيغفر لها، كما ورد في الحديث أنّ من حقّها عليه أن يغفر لها إذا جهلت.
- ويرحم ضعفها إذا قصّرت في القيام ببعض حقوقه.
- ويرحمها في مواطن حاجتها إليه.

والرحمة من لوازمها عدم القسوة والخشونة سواء في الكلام أم في المواقف، فإنّه من المؤسف أن نرى بعض الرجال يستعرض عضلاته، ويختبر قوّته في قبال زوجته.

والمرأة ترحم زوجها

- عندما تراه منهكاً وتعباً من عناء العمل ومعاركة الحياة، تُبادر إلى التخفيف عنه.
- وعندما تراه مهموماً لتكاليف الحياة الصعبة الّتي تثقل الكاهل.
- وإذا قصّر في قضاء بعض حوائج المنزل لانشغاله في عمله والكدّ على معيشته ومعيشة كلّ العيال.

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٥، ص ٢٤١.

- وإذا تعسّر عليه عمله وقصّر الإنتاج عن النفقة، تصبر عليه وترحمه ولا تعيّره ولا تجرح شعوره، بل تعينه وتشجّعه وتحثّه على القيام بما يُصلح شأن عمله.

وكلّ هذا يحتاج إلى توفيق من اللّه تعالى واستعانة به، ودعاء مستمرٍّ بنيّة مخلصة، لكي يجعل اللّه تعالى البركة في الحياة الزوجية، ويشمل الزوجين بألطافه لكي يقدرا على تحمُّل هذه المسؤولية.

لا تبدأ حياتك الزوجية بالحرام

لكـي يُنـزل اللّه تعالى البركة على البيت الزوجيّ يلزم مـن كلا الزوجين أن يتبعا تعاليم الشرع المبين الّتي توجب الرحمة من اللّه تعالى، أفلا نقول في الدعاء «**اللّهمّ إنّي أسألك موجبات رحمتك**» إذاً للرحمة موجبات ولنزول البركة موجبات، وللتوفيق بيـن الزوجين موجبات، وكذلك يوجد ما يمنع هـذه المعاني كلّها، ويأتي بأضدادها، من الشؤم والنكد، وعدم المحبة والمودّة، وعدم الاتّفاق والانسجام...

والعاقـل يتعرّض من بدء حياته الزوجية، من أوّل يوم، بل من أوّل خطوة يخطوها لنفحـات الرحمـن سبحانه، ولبركاته، وذلـك من خلال القيـام بالمستحبّات وترك المكروهات، والدعاء للتوفيق..

بينما الجاهل يبدأ من أوّل يوم في حياته الزوجية بالأعراس المحرّمة الّتي تشتمل علـى الغنـاء والموسيقى والرقص الّذي يتعدّى فيـه الشرع المبيـن، وباللباس غير المحتشم للنساء مما لا تُسيغه مرتكزاتنا الدينية ولا أخلاقنا الإنسانية.

باللّه عليكم أيّ موجبات رحمة يقوم بها مثل هذا.

وأيّ نفحات رحمانية وألطاف إلهية يتعرّض لها؟

وأيّ بركة من هذا الزواج يرجوها وهو يعصي اللّه تعالى جهاراً .

وفـي الرواية: إنّ البيـت الّذي يُسمع فيه الغناء لا تدخله الملائكة، ولا يُستجاب فيه الدعـوة، ولا يأمن الفجيعة، وإنّ الغناء عشّ النفاق...إلى ما هنالك من مضامين تُشنّع على الغناء وسامعيه.

ويتذرّع الإنسان بكلمات واهية غالباً ينطق بها الشيطان عن لسانه، كأن يقول: هي ليلة في العمر وتمضي!

عجيب، يعني إذا كانت مرّة واحدة يجوز لي أن أعصي؟

وفي الرواية: «إذا هممت بمعصية فلا تفعلها لعلّ الله ينظر إليك ويقول لا أغفر لك أبداً».

وإذا كان هـذا المنطق سليماً؛ فإذاً يستطيع العبـد أن يعصي الله بكلّ المعاصي، ولكـن يعصي بـكلّ معصية مرّة واحـدة والأمر يمضي، يقتل مـرة واحدة، يزني مرة واحدة، يسرق مرة واحدة....

هل هذا منطق سليم؟!

أو يقول: إنّ أهل زوجتي، أو إنّ بعض أهلي يريدون أن يفرحوا لنا.

أو إنّ العرف جارٍ هكذا فلا نقدر على مخالفة التقليد.

أو إنّ الناس تعيب علينا وتقول إنّ عرسكم كان مثل مأتم.

أقول: المؤمن لا يفرح بالمعصية بل المعصية هي مأتم وعزاء له، ولا ينبغي لعاقل مؤمن أن تغلبه العادات والأعراف إذا كانت مخالفة لرضا الله تعالى.

ويمكن القيام بمظاهر الفرح، فإنّ الإسلام لم يمنع من الفرح بل أباحه وخصوصاً في الأعراس، غاية الأمر أن لا تُمارس المعاصي بحجّة الفرح.

وهـل الفرح لا يكون إلا بمعصية الله؟! هناك أساليب شرعية تُعبّر خير تعبير عن الفرح والسرور.

نسأل الله التوفيق والرحمة والبركة في كلِّ شؤوننا.



كلّ هذا الضجيج من أجل المأكل والمشرب

نستفيد من الآيـات القرآنية كقوله تعالى: Ŷوَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ Ŷ(١) وقولـه تعالى: Ŷفَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ Ŷ(٢) وقوله تعالى: Ŷوَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ Ŷ(٣) وقوله تعالى: Ŷ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ Ŷ(٤) أنّ جميع الفساد والإفساد والقيل والقال والضجيج الّذي كان على سطح الأرض وما زال وسيبقى كلّه من أجل هذا المأكل والمشرب، لأنّ التكاليف تتناول الغضب والشهوة، وتناول الطعام والشراب من موجباتهما وأسبابهما.

الويـل لنـا نحن الّذيـن نعتبر أنفسنـا أشرف المخلوقـات بينما نحن فـي الواقع أسفـل من الحيوانات، وإلّا فـإنّ جميع هذه النفقات من أجـل المعاشرات والتقلّبات غيـر المشروعة لا معنى لها. وإذا مـا اعتدلنا في مأكلنا ومشربنا فكم ستعتدل ميول الغضـب والشهـوة لدينا؟ والله يعلم كـم ينفق الكفّار من أموال طائلـة في سبيل جرّ المسلمين والمؤمنين نحو الفساد. ونحن نقف في المقابل كأنّنا نرى أنفسنا مضطرّين وعاجزيـن، فهـل نحن- مع هذا الضعف والجوع الّذي نُعانيـه- محتاجون إلى كلّ هذا الفساد الأخلاقي والاختلاطات المضرّة وغير المشروعة، وكلّ هذا الصراع من أجل الرئاسة والقتل والظلم؟!

في مدرسة الشيخ بهجت قدس سره، ج١، ص٩٨.

(١) سورة البقرة، الآية ٣٥، سورة الأعراف، الآية: ١٩.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٧.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠، سورة طه، الآية: ١٢٠.

3

الولد الصالح

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

ŷ...قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ Ÿ[١].

ŷ...رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا Ÿ[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

طلب الذرّيّة

ضمـن تأسيسـ العائلة والبيت الزوجيّ الّـذي قلنا إنّه يجب أن يكـون رسالة على عهـدة المؤمن أداؤها، توجد مسؤولية لا يجوز التقصير بشأنها ولا التهاون بها، وهي المسؤوليـة مـن الوالدين تجاه الأولاد، فلا بُدّ أن نعرف نظرة الإسلام إلى هذا الشقّ من المسؤولية وذلك من خلال عدّة نقاط:

أوّلاً: ماذا يُمثّل الولد بالنسبة للوالدين؟ وكيف يجب أن يُنظر إليه؟

لا ينبغـي النظـر إلى مسألة الولـد بالمنظور العاطفيّ فحسـب، أو على أساس أنّ الوالديـن وجـدا نفسيهما مجبورَين علـى حضانته بعد جريهما علـى العادة بالزواج والإنجـاب في المجتمـع كغيرهما، أو انسياقاً وراء الدافـع الغرائزيّ والميل الفطريّ لأن يكون الرجل أباً وتكون المرأة أمّاً دون أن يكون لهما دافع رساليّ في ذلك.

بل ينبغي أن يكون الإنجاب ثمّ الرعاية، والتربية، والتنشئه على الصلاح من صلب الأمور الّتي يفرضها الالتزام الدّينيّ والخطّ الرساليّ على من يريد تأسيس عائلة في إطار الخطّ الإلهيّ الدِّيني.

نعم توجد رسالة عائليّة متّصلة بحكمة اللّه تعالى من إبقاء النسل لتتحقّق معرفته تعالى وعبادته ولكي تثقل الأرض بلا إله إلا اللّه.

عـن أبـي عبد اللّه عليه السلام قال: «**جاء رجل إلى رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا نبيّ اللّه إنّ لـي ابنـة عـمٍّ قد رضيـتُ جمالهـا وحسنها ودينهـا، ولكنّها عاقـر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تزوّجهـا، إنّ يوسـف بـن يعقـوب لقي أخـاه، فقال: يا أخـي كيف استطعـت أن تزوّج النساء بعدي؟**

فقال: إنّ أبي أمرني، قال: إن استطعت أن يكون لك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح، فافعل»[١].

وعن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يمنع المؤمن أن يتّخذ أهلاً لعلّ الله يرزقه نسمة تُثقل الأرض بلا إله إلا الله**»[٢].

وكذلك تتّصل الرسالة العائلية الّتي منها الإنجاب بالجري على مراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتنفيذ ما حثّ عليه وأحبّه ورغب فيه وهو التناسل.

- فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**تناكحوا تناسلوا، أباهي بكم الأمم يوم القيامة**»[٣].

- وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**تزوّجوا بكراً ولوداً، ولا تزوّجوا حسناء جميلة عاقراً، فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة**»[٤].

وكذلك يضع في الحسبان المنافع الأخروية للأولاد بعد الموت لأنّهم إن توفّوا قبل أن يبلغوا فإنّهم شفعاء للأبوين.

فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لرجل:..«**أما علمت أنّ الولدان تحت العرش يستغفرون لآبائهم يحضنهم إبراهيم، وتربّيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران؟**»[٥].

وإن مات الآباء قبلهم فإنّهم يبقون كالصدقة الجارية في الأرض ينتفع آباؤهم بهم بعد موتهم، كما ورد في روايات متعدّدة من أنّه: «**إذا مات المؤمن انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٦].

---

(١) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج ٥، ص ٣٣٣.
(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٢٠، ص ١٥.
(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٤١، ص ١٥٣.
(٤) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٤١، ص ٣٣.
(٥) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج ٥، ص ٣٣٤.
(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٢، ص ٢٣.

ومـا يترتّب مـن الأجر والثـواب على الإنفـاق والتوسعة على العيـال، والقيام بما يُصلحهم مادّيّاً ومعنويّاً فإنّها مثوبات عظيمة جدّاً لا يُضاهيها شيء من عمل البرّ لو أردنا أن نسردها لطال بنا الكلام.

فإذاً الأولاد هم من موجبات الثواب ورفع درجات المرء عند الله تعالى.

وبكلمـة واحـدة: الإنجاب يجـب أن يندفع إليـه المرء من خـلال إيمانه وعقيدته وارتباطـه بالخالق تعالى، وبأنّه مسؤولية يُثـاب عليها ويُعاقب، كما صرّح إمامنا زين العابديـن عليه السلام: «**فاعمـل فـي أمـره عمل من يعلـم أنّه مثـاب على الإحسـان إليه معاقب على الإساءة إليه**»[1].

ويقـول عليه السلام: «**وإنّـك مسـؤول عمّـا وليتـه مـن حسـن الأدب والدلالـة علـى ربّه**»[2].

ثانياً: انطلاقـاً من هذه المسؤولية ولكي نؤدّي هذه المهمّة ونفي لهذه الرسالة، لا بُدّ أن نعرف ما كلّفتنا به الشريعة المقدّسة تجاه أولادنا، من الواجبات والمستحبّات والمحظورات..

حقّ الولد على أبيه

يقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾[3].

هنـاك كارثة عدم الشعـور بتلك المسؤوليـة الّتي ذكرناها في النقطـة السابقة، وبالتالي عدم معرفة ما يجب أن نفعله تجاه أولادنا، نعم نحن نُهيّئ لهم الخبز والجبن واللحم، ولكن ليس بالخبز فقط يحيا الإنسان.

فلنلقِ نظرة على ما ينبغي تقديمه للأولاد جرياً على مقتضى ما قدّمناه من رسالية

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٥، ص ١٧٦.

(٢) م.ن، ج ٥، ص ١٧٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

في بناء وتشكيل الأسرة، ولنستفد من حقّ الولد الوارد في رسالة الحقوق لإمامنا زين العابدين عليه السلام، يقول عليه السلام:

«وأمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا ولّيته من حسن الأدب والدلالة على ربّه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه ولا قوّة إلا بالله»[1].

أوّلاً: يذكّرك الإمام عليه السلام بأنّ الولد بما هو ولد وبما فيه من خير أو حتّى شرّ هو منسوب ومضاف إليك. يقول الإمام علي في وصيّته للإمام الحسن عليهما السلام: **«وجدتك بعضي بل وجدتك كلّي حتّى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني»**[2].

فليس لك أن تتبرّأ منه كما قد يتفق وتتبرأ من صاحب أو صديق، بل لا بُدّ أن يبقى الأمل دائماً بإصلاحه والشعور بالمسؤولية تجاهه لردّه إلى الرشد والصلاح - طالما أنّه لم يتحوّل إلى عدوٍّ لله وللدّين وإلا فإنّ خطاب **«إنّه ليس من اهلك»** - الّذي نزل بشأن ابن النبيّ نوح عليه السلام - سوف يشمله وينطبق عليه، يقول الإمام علي عليه السلام:

«الولد غير الصالح كالإصبع الزائد إن قطعته آلمك وإن تركته شانك».

وإنّما قال عليه السلام في رسالة الحقوق: **«في عاجل الدنيا»** لأنّه في الآخرة تنقطع الإضافات والأنساب: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[3].

ثانياً: إنّك مسؤول عن عدّة أمور ترجع إلى السعادة الدنيوية والأخروية وهي كالتالي:

أ- إنّك مسؤول عمّا ولّيته من الأدب، فإنّه كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«لا**

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٥، ص ١٧٦.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٤، ص ٢٠٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

ميـراث كالأدب». والأدب هـو الأمور الّتي تجعل الإنسـان متميّزاً عن السوقة والجهلة والسفهاء والحمقى، بأن يأتي الإنسان في كلّ موقف بما يُناسبه ممّا يستحسنه العقلاء ويُقرّه الشرع والحكماء، فللكلام أدبه، وللجلوس، وللطعام، وللمشي، وللضحك، وللصوت... لكلّ فعل، أو موقف، أو حديث، أدبه الخاصّ بـه، فأنت مسؤول عن توليته هذه الآداب، فاسأل نفسك هل تعتبر ذلك تحت نطاق مسؤوليتـك، أم أنّك لو تعطّفت بالالتفات إلـى العائلة والأولاد يقتصر انعطافك على تأمين الطعام والكسوة وأمثال ذلك من الأمور البدنية؟!

وأمّا الأمور المعنويّة الّتي منها تلقين الآداب لأولادك فهذا ليس من الأولويات عندك؟

ب – أنت مسؤول عن دلالة أولادك على ربِّهم تعالى، فهل تُلقّنهم دروس التوحيد والعقيـدة يـا تُرى بحسب مـا تقتضيه أعمارهـم منذ الصغـر، تغرس في نفوسهـم الإيمان بالله تعالى حتّى ينشؤوا ويترعرعوا وقد تغلغل الإيمان في أعماقهم وجرى في دمائهم؟

أنـت مكلّـف أن تُهيّئ لأولادك الثقافـة والعلم والأجواء الفكريـة والاجتماعية من صداقـات ولقـاءات وغيرها لكي يصلـوا إلى العقيدة الصلبة فـي معرفة الله تعالى، وأيضـاً ما يقوّيها ويُساعد على تثبيتها، ولا يجوز تركهم بلا دلالة، فأنت الدالّ ويجب عليـك تهيئة الدليل وتقريبه إليهم لكي يصلـوا إلى الدلالة الواضحة على الله تعالى. نعم الوالدان مكلّفان بذلك ولا يجوز لهما إهمال هذا الجانب. وللأسف قد يكون الأمر بالعكس بأن يُترك الأولاد وشأنهم يُخالطون الفاسدين المفسدين الّذين يؤثّرون سلباً على عقيدتهم.

ج – المعونة لابنك على طاعة الله تعالى معرفته لله تعالى، فأنت تأخذ بيده إلى معرفـة الله تعالى، ومعلوم أنّ المعرفة تستدعي الطاعة، فعليك بمساعدته أيضاً على أن يكون تقياً مطيعاً لله تعالى.

وهذه الطاعة لها جنبتان

الأولـى: طاعــة اللّه فيك أي تُساعده على برِّك، فقد ورد أنّه رحم اللّه من أعان ولده على برِّه، فعن يونس بن رباط عن الإمام أبي عبد اللّه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله من أعان ولده على برِّه.

قال «الراوي»: قلت: كيف يُعينه على برِّه؟

قال: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يُرهقه، ولا يخرق به، فليس بينه وبين أن يصير في حدٍّ من حدود الكفر إلا أن يدخل في عقوق أو قطيعة رحم»[1].

أي عليك أن لا تحمّله أكثر مما يُمكن له أن يحمل بل تقبل منه ما تيسّر، ولا تُتعبه، فعليك أن تكون واقعياً في النظر إلى قابليّاته لا أنّك دائماً تُطالبه بالأمور الكبيرة وتُعيّره وتؤذيه بالقول له: إنّك غير نافع وغير مجدٍ وأمثال تلك العبارات.. لأنّه لم يأت بما قد رسمته أنت له في نفسك ومخيّلتك.. وبالتالي تُحرجه وتُخرجه عن إطار رضاك عنه وتكون قد اضطررته إلى عقوقك وبالتالي إلى معصية اللّه تعالى.

الثانيـة: أن تُعينــه على طاعة اللّه في نفســه، أي تُساعده على أن يكــون تقيّاً مطيعاً للّه تعالــى بينه وبين ربِّــه، وذلك بتحفيزه على فعل الطاعــات وترك المحظورات والمحرّمات والتدرُّج بمراتب التقوى.

ولا بُدّ من الالتفات إلى ما أراد الإمام عليه السلام التنبيه عليه وهو أنّ هذه المسؤوليات ليســت مجرّد أمور مستحبّــة، لك تركُها، بل أنت معاقــب إذا فرّطت فيها ومثاب على مراعاتها وتعاهدها، وذلك نفهمه من قوله عليه السلام: «**فمثاب على ذلك ومعاقب.. فاعمل بأمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه**».

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٦، ص ٥٠.

وأيضاً من حقِّ الولد على والده:

- أن يختار أمّه.
- أن يُحسِّن اسمه.
- أن يُعلِّمه القرآن.
- أن يزوّجه إذا بلغ.
- أن يعلم بأنّه أمانة في عنقه يتمّ حفظها بتربيته تربية إيمانية بما ذكرنا آنفاً.
- أن يرزقه طيّباً، أي «يُطعمه رزقاً حلالاً ولا يُطعمه من مال حرام».
- أن يدعو له فيما بينه وبين الله تعالى.
- أن يُكرمه، «أكرموا أولادكم»[١].
- المبادرة إلى التربية قبل فوات الأوان: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم اليهم المرجئة»[٢].
- تعليمهم الصلاة أبناء سبع، فعن رسول الله ﷺ: «علِّموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً»[٣].
- أن يضعه موضعاً صالحاً.

ثالثاً: بعد معرفة مسؤوليّتنا الكبرى تجاه أبنائنا، وأنّ الشريعة كلّفتنا تهيئة الأجواء الصالحة والمناخات الملائمة لهم لكي يكونوا صالحين، وتربيتهم على المبادئ والقيم الحميدة، وصدّهم عن كلّ ما يكون مظنّة فساد أو انحراف ديني أو خُلقي، بعد معرفة هذا لا بُدّ من التعرُّف إلى أساليب التربية الصالحة الّتي من خلالها نصل إلى الغاية المنشودة، وهذا يستدعي اهتماماً كبيراً ومتابعة مستمرّة، ومراقبة وعناية غير منقطعة، وهذه المسؤولية لا تتلاءم أبداً مع اللامبالاة والتهاون.

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٢١، ص ٤٧٦.

(٢) م.ن، ج ٢١، ص ٤٧٧.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهريّ، ج ١، ص ٥٦.



إنّما نال مقام المرجعية ببركة دعاء والديه

ذكر السيّد عادل العلويّ في سياق حديثه عن المرجع السيّد المرعشيّ النجفيّ قدس سره قال:

لقد نشأ سيّدنا الأستاذ في بيت العلم والسيادة والشرف في أسرة مرموقة في أعين الناس.

حدّثني يوماً أنّه كان والده يأخذه إلى درس المحقّق الآخوند عليه الرحمة وهو لم يبلغ الحلم.

وعندما كانت والدته تطلب منه أن يوقظ والده، يصعب عليه أن يُناديه، فكان يمسح بوجهه وخدّه باطن قدم والده فيستيقظ بعد دغدغة لطيفة ويرى هذا الموقف المتواضع من ولده البار.

فتدمع عيناه رافعاً يديه إلى السماء ويدعو لولده بالتوفيق.

وكان سيّدنا الأستاذ كثيراً ما يقول: إنّما نلت هذا المقام وزاد الله في توفيقي ببركات دعاء والديّ عليهما الرحمة.

4

نظرة الإسلام الى المال

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1]

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

فلسفة حبّ الإنسان للمال

عندما نُريد التحدُّث عن أيّ مفهوم لا بُدّ أن نُخضعه للنظرة الشرعية الواقعية، ثمّ بعد ذلك نُرتِّب الآثار السلبية والإيجابية بعد وضوحه على مستوى المفهوم الواقعيّ بحدوده الطبيعية، فكيف ينظر الإسلام إلى المال؟ وكيف يُقيّمه إيجاباً وسلباً؟

أوّلاً: إنّ القرآن الكريم يُعبِّر عن شيء مرتكز ومنغرس في نفس نوع الإنسان وهو حبّه للمال حبّاً كبيراً، يقول تعالى:

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1]. وفُسِّر الخير بالمال.

وخلفية حبّ الإنسان للمال هي أنّ الإنسان يُحبّ وجوده، ويُحبّ كلّ شيء يقوّي وجوده، ويدفع النقص والخطر عنه. ولا شكّ أنّ المال من مقوّيات الوجود ومن المساعدات على رفع النقص والدفاع والذبّ عنه، فإذاً سيتفرّع حبّ المال على حبّ الذات ويكون قوياً ومنسجماً مع درجة حبّها، وبما أنّ حبّ الذات من أعظم الغرائز لدى بني البشر فحبّ المال المتفرّع عنها طبيعيٌّ أن يكون من أقوى ما يُحبّه الإنسان ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

إذاً، هذا الحبّ عميق ونحن مأمورون أن لا نجري على مقتضى هوانا في التعامل مع المال، بل أن نُخضع علاقتنا به لحكم الشرع والعقل من خلال تعديل ذلك الميل الجنونيّ والعشق الكبير له، فالضابط والميزان للوصول إلى هذا الاعتدال هو الشرع

(١) سورة العاديات، الآية: ٨.

المبيـن المدعوم بحكم العقل والعقلاء، فتعـال لنرى نظرة القرآن والسنة إلى المال وبماذا يأمران.

إنّ الإسـلام يعتبـر المال أمراً مهمّـاً مصلحاً لشؤون الخلـق ولا يرفضه بالمعنى التصوفيّ السلبيّ بل هو وسيلة مهمّة جدّاً، وتحصيله والكدّ في سبيل كسبه من الحلال هو من أفضل العبادة، فكما ورد عن النبيّ ﷺ: «**العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال**»[1].

ولكن ككلّ وسيلة إذا تحوّلت إلى غاية فإنّها ستنحرف عن الصواب وقد توصل إلى الهلاك، فإنّ المال يجب أن يبقى في إطار الوسيلة، وإذا ما اعتقد الإنسان بأنّه غاية وتعامل معه كذلك فإنّه يكون من أخطر الأشياء عليه.

وللأسـف الكثيـر من البشر وقعوا في فخّ المال وتحـوّل حبّهم له إلى غاية، وذلك للأمـر الجبلّيّ فيهم كما ذكرنا، مع طول الأمل وحبّ الحياة وما يترتّب على ذلك من خوف الفقر والحاجة، وتقدير التعرّض المستقبليّ للنقص والفقدان والفاقة.

وبالتالي فإنّ الإنسان يلجأ إلى الكنز والادّخار وحجب المال عن المستحقّين.

كيف ينظر الدِّين للمال وكيف يُقيّمه؟

فلنلقِ نظرة على كيفيّة تقييم الإسلام للمال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجّهوها حيث وجّهها الله ولم يُعطكموها لتكنزوها**»[2].

- وعنه عليه السلام عن أبيه أبي جعفر عليه السلام أنّه سُئِل عن الدنانير والدراهم وما عمل الناس فيها، فقال أبو جعفر عليه السلام:

«**هـي خواتيـم الله فـي أرضه جعلهـا الله مصلحة لخلقه وبهـا تستقيم شؤونهم**

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٢، ص١١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٣٢، وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٦، ص ١٧.

ومطالبهـم، فمن أكثـر له منها فقام بحقّ الله فيها وأدّى زكاتها فذاك الّذي طابت وخلصت له، ومن أكثر له منها فبخل بها ولم يؤدِّ حقّ الله فيها واتّخذ منها الآنية فذاك الّذي حقّ عليه وعيد الله عزّ وجلّ في كتابه، يقول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾»[1] [2]

- وروي عـن الإمام الصادق عليه السلام: «**المال مال الله عـزّ وجلّ، جعله ودائع عند خلقـه، وأمرهـم أن يأكلـوا منه قصـداً، ويشربوا منـه قصداً، ويلبسـوا منه قصداً، وينكحـوا منـه قصـداً، ويركبـوا منـه قصـداً، ويعـودوا بما سـوى ذلك علـى فقراء المؤمنيـن، فمـن تعـدّى ذلك كان ما أكلـه حراماً، وما شرب منـه حراماً وما لبسه منه حراماً، وما نكحه منه حراماً، وما ركبه منه حراماً**»[3].

أوّلاً: لا بُدّ من التوجّه بالنظرة الإيجابية للمال لا بالنظرة التصوّفية السلبية كما مرّ وذكرنـا، أي مـن الخطأ الاعتقاد بأنّ المال بما هو مـال سيّىء وشرّ، وبالتالي من القبيح أن نحوزه ونُحصّله.

هـذا ليس صحيحاً، بل المـال كما صرّح الإمام عليه السلام بالروايـة الآنفة: «**هي**» أي الأموال «**مصلحة لخلقه، وبها تستقيم شؤونهم ومطالبهم**»

وإنّمـا الخطر في الأمر هو ما يُمكن أن يترتّب على حبّه والتعلّق به من لوازم وآثار سيّئة ومهلكة كما سنبيّن فيما سيأتي.

ثانياً: المـال ليس ملـكاً حقيقياً للإنسان وإنّما هو عاريـة ووديعة وملك اعتباريّ، فلو دقّقنـا في النصوص نجد التصريح بذلـك، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

(٢) وسائل الشيعة، «**الإسلامية**»، الحرّ العاملي، ج ٦، ص ١٧.

(٣) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج ٤، ص ٢٩٩٤.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[١]. فلم تقل الآية تركتم ما «ملّكناكم»، بل عبّرت بـ «خوّلناكم»، ومعلوم أنّ تخويل الشيء أعمّ من تمليكه، فقد أخوّلك التصرّف بشيء لي دون أن أملّكك إيّاه.

وكذلك التعبير في الرواية السابقة بقوله عليه السلام: «**المال مال الله**» فإنّما أضاف الملكية الحقيقية إلى ذاته المقدّسة ولم يُضفها إلى الإنسان، وقوله عليه السلام: «**جعله ودائع عند خلقه**» فلم يقُل عليه السلام ملّكه الله لخلقه...

فلا بُدّ للعاقل أن يعتقد بذلك، أي بأنّه مخوّل بالتصرُّف بهذا المال وممتحن به، وأنّه مسؤول عنه مكسباً وإنفاقاً، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت**»[٢]. ولا يدخل في وهم أحد أنّه أصبح مالكاً له، فله صنع ما أراد به وينسى أنّه محاسب حتّى على الدرهم والقطمير منه.

وكذلك إذا اعتقد أنّ مالكه الله تعالى وأنّه مجرّد عبد ممتحن به، فإنّه سوف لا يمنع حقّ الله تعالى فيه، بل يبذله بطيب نفس، فهل يبخل الإنسان بملك غيره؟

ثالثاً: إذا كان المال هو مال الله وهو وديعة عند الخلق لا غير مخوّل بالتصرُّف فيه فلا بُدّ أن نسأل ماذا يُريد الله تعالى منّا بشأن هذه الوديعة وهذا الشيء الّذي امتحننا فيه؟

هل يُريد منّا التباري بجمعه فمن يجمع أكثر فهو الفائز وله الغلبة عنده «تعالى» وبالتالي له التفاخر على غيره بفوزه المظفّر عليهم لأنّه فاقهم في الكنز والادّخار منه؟!

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٩٣.

الجواب: كلا، بل كلّفنا عزّ وجلّ أن نوجّهه حيث وجّهه ولا نكنزه، كما عن مولانا الصادق عليه السلام: «**إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجِّهوها حيث وجّهها الله ولم يُعطكموها لتكنزوها**»[١].

فالمال إذاً ليس للكنز ولا للادّخار، بل جعله اللّه خواتيم في أرضه ليُصلح الناس به أمورهم، ويُديروا شؤونهم، ويتوصّلوا به إلى مقاصدهم، ليتوجّهوا بعد سدّ حوائجهم إلى الدوافع الأساس السامية، فمن يتوقّف عند جمع المال وكنزه ومن ثمّ يطلب به الكمالات الدنيوية كما عبّرت الرواية الشريفة «واتخذ منها الآنية» فإنّه من التائهين في الضلال ومن الهالكين إن كان قد بخل بحقّ اللّه تعالى، أو أسرف في إنفاقه.

وإن كان قد أدّى حقّ اللّه تعالى فيها فليس عليه جناح من الناحية الفقهية، ولكن من الناحية السلوكية فقد يُقال إنّ من يجمع ويكنز فهو من المنشغلين بالدنيا ومن الغافلين، وإنّه ما اجتمع مال إلا من شحٍّ أو حرام كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، ولذلك ألمحت الرواية السابقة إلى أنّ الشيء الّذي يكون مَرضيّا في إنفاقه هو القصد في كلِّ شيء، في المأكل والمشرب والملبس والمسكن..

«**وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً، ويشربوا منه قصداً، ويلبسوا منه قصداً، وينكحوا منه قصداً، ويركبوا منه قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، فمن تعدّى ذلك كان ما أكله حراماً، وما شرب منه حراماً وما لبسه منه حراماً، وما نكحه منه حراماً، وما ركبه منه حراماً**»[٢].

فلا بُدّ من حمل الرواية على ما ذكرنا، فإما أن نقول أنّه حرام لأنّه لم يؤدِّ حقّ اللّه تعالى فيه، أو لأنّه أسرف في الإنفاق، أو لأنه ما اجتمع مال إلا من شحّ أو حرام، أو المقصود بالحرام الوارد الأعمّ من الحرام الفقهيّ و الأخلاقيّ العرفانيّ المعنويّ.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٣٢.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٣، ص ٥٢.

حبّ المال أداة مهلكة

وبعد التعريف بالنظرة الشرعية للمال، وبأنّها نظرة واقعية إيجابية «مع الالتزام بالحدود الشرعية للجمع والإنفاق كمّاً وكيفاً» وليست سلبية، فلا بُدّ أن نذكر الأمور الّتي تجعل حبّ المال أداة مهلكة بيد صاحبها إذا لم يُضبط بما يُريده الشرع المبين والعقل الرصين:

فأوّلاً: من لوازم ذاك العشق للمال؛ الشُّحّ:

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾[١].

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴾[٢].

ثانياً: حبّ الاستزادة والطمع والحرص الشديد على الكنز والادّخار:

- عن رسول الله ﷺ: **«لو أنّ لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً»**[٣].
- وعنه ﷺ: **«منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا»**[٤].

ثالثاً: الطغيان: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[٥].

من الخطأ أن يأمن الإنسان جانب نفسه، فإنّها كثيراً ما تخدعه، وتعده بأشياء ولا تفي عند التمكّن **«وخدعتني الدنيا بغرورها، ونفسي بخيانتها»**[٦]، وخاصّة فيما يتعلّق بالمال، فإنّه قبل حصوله في يد الإنسان قد يتكلّم كلام الزاهد في تملّكه والحرص عليه، الّذي لا يعتني بشأنه، ولا يقيم له وزناً، إلا أن يقضي به حوائجه وحوائج الناس من أقاربه وإخوانه المؤمنين. إلّا أنّه بمجرّد أن يحصل على قدرٍ منه فقد يتغيّر نمط تفكيره، بل حتّى قد يتغيّر لحن كلامه، فهذا ثعلبة بن حاطب الّذي

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٠.
(٣) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٦٣٩. مسند أحمد، ج ٥، ص ١١٧.
(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ١، ص ١٨٢.
(٥) سورة العلق، الآيتان: ٦ـ٧.
(٦) مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسي، ص ٨٤٥.

عاهد الله لئن آتاه الله من فضله ليصّدقن وليكونن من الصالحين، فأيّ عهد هذا الّذي قطعه على نفسه وجهاً لوجه مع رسول الله ﷺ، والّذي أكّده بعدّة تأكيدات! إنّه لو وُزن مع جبال الدنيا لرجح عليها من ثقله! ومع ذلك لمّا آتاه الله من فضله بخل وتولّى وهو معرض، فأعقبه ذلك البخل والخلاف للعهد والكذب نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقى الله سبحانه، بل على ما في النقل لقد كان تعبيره «**ما هذا إلّا اخت الجزية**» فقال النبيّ ﷺ: «**يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة**»[1].

وهذه الآيات المباركات الّتي روي أنّها نزلت فيه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾[2].

فعجباً لهذا الإنسان الّذي يلهج بالكرم وحبّ البذل، وبأنّه إذا حاز مالاً سوف لا يردّ سائلاً، ولا يدعّ محتاجاً، ولا فقيراً إلا وينيله من كرمه وفضله وبذله، ولكنّه بمجرّد أن يحوز المال، ويتمكّن منه، يصبح شخصاً آخر، همّه تبرير حرصه وبخله، وليت الأمر يقتصر على هذا الحدّ، فإنّه يطغى ويتجاوز الحدود وينتهك الحرمات بالمال، الّذي هو مادّة الشهوات، ويظهر عليه البطر والترف والبذخ، وينسى أنّ هذا المال هو مال الله قد جعله وديعة عنده ليختبره به، ويتبجّح بحذاقته وذكائه في جمعه، وينسى من أنعم به عليه، ورزقه إيّاه، وأفضل مثال على هذا الصنف من البشر قارون.

وأخيراً فإنّ التخلُّص من هذه الآثار السلبيّة لحبّ المال بحاجة إلى تدريب وتهيئة لهذه النفس يؤدي إلى تزكيتها وذلك باستشعار رقابة الله تعالى، واستذكار نعمه وأنّه في أيّة لحظة قادر على سلبها واسترجاعها فهي فضلٌ من الله تعالى ومتى شاء استعاده، بل هي امتحان واختبار يسقط فيه كثيرون، وعليه نسأل الله أن لا يفتنّا بالدنيا وما حوت وأن لا يمتحننا بما لا نقدر على النجاة منه، إنّه سميع مجيب.

---

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٩، ص ٣٥٢.

(٢) سورة التوبة الآيات: ٧٥ – ٧٧.



عجب قارون بنفسه وطغيانه على كليم الله عليه السلام

يقول تعالى في سورة القصص:

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[1].

هذا ذكر مجمل ما حصل لهذا الرجل الّذي أطغاه المال:

... لمّا قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر جعل الحبورة «وهي رياسة المذبح وبيت القربان» لهارون، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديّتهم ويدفعونها إلى هارون، فيضعه على المذبح فتنزل النار من السماء فتأكله، فوجد قارون في نفسه من ذلك وأتى موسى وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما. لا صبر لي على هذا.

(١) سورة القصص، الآيات: ٧٦-٨٢.

فقال موسى عليه السلام: والله ما أنا جعلتها لهارون بل الله تعالى جعلها له.

فقال قارون: والله لا أصدّقك في ذلك حتّى تُريني بيانه.

فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل وقال: هاتوا عصيّكم فجاؤوا بها فخرمها وألقاها في القبّة الّتي كان يعبد الله تعالى فيها، وجعلوا يحرسون عصيّهم حتّى أصبحوا، فأصبحت عصى هارون عليه السلام قد اهتزّ لها ورق أخضر، وكانت من شجرة اللوز.

فقال موسى: يا قارون أترى هذا؟

فقال قارون: والله والله ما هذا بأعجب ممّا تصنع من السحر. فذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى بأتباعه، وجعل موسى يُداريه للقرابة بينهما، وهو يؤذيه في كلّ وقت ولا يزيد كلّ يوم إلا كبراً ومعاداة لموسى عليه السلام، حتّى بنى داراً وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب. وكان الملأ من بني إسرائيل يميلون إلى مجالسته ومضاحكته. ثمّ إنّ الله سبحانه أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فصالح قارون على أن يُعطي عن كلّ ألف دينار ديناراً وعن كلّ ألف شاة شاة وعن كلّ ألف شيء شيئاً، فرجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً، فلم تسمح بذلك نفسه.

فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إنّ موسى قد أمركم بكلّ شيء فأطعتموه وهو الآن يُريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت.

فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغية فنجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها. فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل، ورفضوه فاسترحنا منه. فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل: طشتاً من الذهب. وقال لها: إنّي أموّلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل.

فلمّا كان الغد جمع قارون بني إسرائيل فخرج إليهم موسى فقام فيهم خطيباً فوعظهم وقال: من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتّى يموت.

فقال له قارون: وإن كنت أنت؟

فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنّك فجرت بفلانة.

قـال: دعوها فإن قالت فهو ما قالت، فلمّا أن جـاءت قال لها موسى: يا فلانة أأنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟

وعظّـم عليها وسألها بالذي فلـق البحر وأنزل التوراة، فلمّـا ناشدها تداركها اللّه بالتوفيـق، وقالـت في نفسها لئن أحـدث اليوم توبـة أفضل مـن أن أؤذي رسول اللّه، فقالـت: لا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي. فلمّا تكلّمت بهذا الكلام نكّس قارون رأسه وعرف أنّه وقع في مهلكة، وخرّ موسى ساجداً يبكي ويقول: يا ربّ إنّ عدوّك قـد آذاني وأراد فضيحتي، اللّهمّ فإن كنتُ رسولك فاغضب لي وسلّطني عليه، فأوحى اللّه سبحانه إليه: إرفع رأسك ومر الأرض بما شئت تُطعك.

فقـال موسى: يا بنـي إسرائيل إنّ اللّه قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، ومـن كان معه فليثبت معه، ومن كان معي فليعتـزل، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلا رجـلان. ثمّ قال: يا أرضـ خُذيهم فأخذتهم إلى كعابهم، ثمّ قـال: يا أرض خُذيهم، فأخذتهـم إلى ركبهم، ثمّ قال: يـا أرض خُذيهم، فأخذتهم إلـى حقوتهم، ثمّ قال يا أرضـ خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم. وقارون وأصحابه في كلّ ذلك يتضرّعون إلى موسى عليه السلام ويُناشد قارون اللّه والرحم، حتّى ناشده سبعين مرّة، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدّة غضبه، ثمّ قال: يا أرض خُذيهم فأطبقت عليهم الأرض.

فأوحـى اللّه إلـى موسى: مـا أظنّك استغاثوا بـك سبعين مرّة فلـم ترحمهم ولم تُغثهـم، أما وعزّتـي وجلالي لو إياي دعوا مـرّة واحدة لوجدوني قريبـاً مجيباً. فلمّا خسـف اللّه تعالـى بقارون وصاحبيه أصبحـت بنو إسرائيل يتناجـون فيما بينهم أنّ موسـى إنّما دعـا على قارون ليأخذ داره وأمواله وكنوزه، فدعا اللّه تعالى موسى حتّى خسف بداره وأمواله الأرض...[١].

(١) قصص الأنبياء، الجزائري، ص ٣١٩.

5

التطفيف

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾[1]

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

تمهيد

مـن المعلـوم أنّ كلّ نبيّ من الأنبياء الكـرام عليهم السلام غايته نشـر التوحيد عقيدة، وإرسـاء الأخلاق الفاضلة سلـوكاً، والأحكام الإلهية شريعـة ومنهاجاً. ولكن نجد أنّ بعض الأنبياء عليهم السلام قد أكّـدوا على بعض الجوانـب وسلّطوا الضـوء عليها كأولوية للمعالجة باعتبارهـا أدواء مستشرية بين الناس، ومن هذه الأدواء المعضلة المهلكة والمفسـدة للمجتمع الإنسانـيّ التطفيف، وعـدم إيفاء الكيل والميـزان، والذي كان مستشرياً وسارياً في زمن نبيّ اللّه شعيب عليه السلام. وقد بيّن القرآن الكريم هذا الأمر في كلامه سبحانه عن النبيّ الكريم شعيب عليه السلام في عدّة من الموارد والسور.

وقـد أُرسل شعيب عليه السلام إلى مديـن الّتي هو من أبنائها، وإلـى الأيكة الّتي كانت بقـرب مدين. يقول القرآن الكريـم: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[1] حيث نعته بالأخ لأهل مدين، دون أن ينعته بذلك عند الحديث عن أصحاب الأيكة بل قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[2] دلالـة علـى أنّـه عليه السلام لم يكن مـن أهل الأيكة، وكان التأكيد فـي كلا المهمّتين بشكل كبير على المشكلـة الاجتماعية المستفحلـة الّتي تجذّرت وتأصّلت فـي كلا المجتمعين «مدين والأيّكة»، طبعاً بعد الدعوة إلى التوحيد لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام.

وقـد بالغ النبيّ شعيـب عليه السلام بالكلام والمواعـظ لمن أُرسل إليهـم، حتّى دُعي بخطيـب الأنبياء، كمـا ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنّـه للأسف لم يُجبه القوم

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان:١٧٦– ١٧٧.

إلا بالـرّد والعصيان، وهـدّدوه بالرجم والطرد من بينهم، وبالغـوا في إيذائه وإيذاء مـن آمـن معه وهم قلّة قليلة، وبقـوا على ذلك حتّى سـأل الله أن يقضي بينه وبينهم فأهلكهم الله تعالى.

قـال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾(١). فقد خصّص الله تعالى بالذكر هذه المعصية ونهى عنها من بين معاصيهم الأخرى بعد الأمر بالتوحيد، لما ذكرناه مـن شيوعها بينهم وإقبالهم عليها بحيث قد بان إفسادها للمجتمع الإنسانيّ بشكل واضح ممّا استوجب شدّة الاهتمام بالردع عنها.

وقـد عقّـب القـرآن الكريـم النهـي عـن التطفيـف بقولـه ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾(٢) وفيـه دلالة على أنّ البخس فـي الميزان والتطفيف من عناصر الإفساد للمجتمع الإنسانيّ.

كيفية إفساد التطفيف للمجتمع الإنسانيّ

لا بُدّ أن نستحضر مدى حاجة أفراد المجتمع لبعضهم بعضاً، فبمجرّد أن تفترض مجتمعـاً إنسانياً لا بُدّ أن تتصوّر التبـادل للمنافع فيه بين أفراده ومكوّناته، فكلّ فرد يُعطـي ما هو مستغن عنه في مقابل أن يستجلـب ما هو بحاجة إليه، وهذا واضح في الأمـوال والأمتعة، وخاصّة ما يكون لها أحجام أو أوزان، فإنّ الإنسان بدأ يتبادلها مع غيره بشكل فطريّ، فأنا إذا كان عندي تمر كثير وأنت عندك قمح فائض فإنّي أعطيك صاعاً من تمر لتعطيني صاعاً من قمح، بلا أن يكون هناك ربح في الحسبان.

ثـمّ تطوّرت الأمور، فصار الإنسان يُبـدِّل الأمتعة بالأثمان فصارت التجارة حرفة ومهنـة ثمرتها ادّخار المال وجمعه، وذلك من خلال الحصول على أنواع البضائع ثمّ عرضها على ذوي الحاجات وبيعهم إياها في مقابل ربح يُزاد على رأس مالها، وذلك

(١) سورة هود، الآية: ٨٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٨٣.

مقابل الجهد الّذي يبذله البائع للحصول على الأجناس وعرضها، وهذا الربح رضي بــه الناس وذلك لأنّه يوفّر عليهم البحث والطلــب، ويُسهِّل عليهم الحصول والوصول إلــى احتياجاتهم، فإذاً هذا ربح مشروع رضي به الناس للبائع بفطرتهم، وهو فرصة للجمع والثروة.

يقول تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

والمراد أنّ الربح الّذي هو بقيّة إلهيّة هداكم اللّٰه إليه من طريق فطرتكم هو خير لكم مــن المال الّذي تقتنونه من طريق التطفيف ونقصــ المكيال والميزان إن كنتم مؤمنين. فإنّ المؤمن إنّما ينتفع من المال المشروع الّذي ساقه اللّٰه إليه من الطريق الحــلال، وأمّا غير ذلك ممّا لا يرتضيــه اللّٰه ولا يرتضيه الناس بحسب فطرتهم فلا خير له فيه ولا حاجة له إليه.

هذا حال المجتمع الإنسانيّ في الاحتياج إلى المبادلة بين أفراده وعدم الاستغناء عنها لكي يضمن سدّ حاجاتهم، فإذا ساد التطفيف في ذلك المجتمع حصل الفساد من ناحيتين:

الأولى: أنّه يُفسد التقدير ويبطل التدبير، فإذا كان مقدّراً حاجته بالمقدار الكذائيّ فإنّــه قد أُعطِيَ الأقل، وكذلك إذا كان مقدّراً بأنــه سيبادل على المقدار الكذائيّ المعيّن فإنّه أيضاً يتبيّن أنّه قد أعطى الزائد على ما أخذ.

ومــن الطبيعيّ عند اختــلال التدبير فإنّه سيلزم الفســاد باختلال نظام المعيشة الاقتصاديّ.

الثانيــة: وهي في غايــة الأهميّة، وهي فقــدان الثقة بين أفراد المجتمــع الإنسانيّ، وحصــول التزلزل وعدم الاطمئنــان، فتضطرب العلاقات، ويجنــح المجتمع إلى الانحــراف والتحايل والمكر والخديعة وإفساد القيــم الإنسانية فيه، وينساق إلى

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٦.

التعاسة بدل التعاون بين أفراده للسير به إلى شاطئ الأمان والاطمئنان والسعادة الإنسانية.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

التطفيف من الكبائر

لا إشكال بأنّ البخس في المكيال والميزان هو من المحرّمات. وقد دلّت على ذلك الأدلة الأربعة، القرآن والسّنة والإجماع والعقل، بل هو من الكبائر.

ولو نظرنا إلى سورة المطفّفين لرأيناها تعتبر المطفِّف غير آبه بيوم البعث والحساب، وأنّه غير شاعر بمحضر الله تعالى الّذي يراه ويسمعه، فهو غير مغفول عنه وإن كان قد نجح في استغفال صاحبه الّذي بخسه الكيل والميزان.

يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وقد ورد في الروايات أنّه ما طفّف قوم الكيل إلا مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين،

وأنّ المطفِّف في الوزن يكون في قعر جهنّم مشغولاً دائماً بوزن جبلين من نار يوضع بينهما.

ويقول مالك بن دينار: كان لي جار احتضر فكان يصرخ ويقول: ينتظرني جبلان من نار! فقلت له: هذا يُخيّل إليك، فقال: لا، بل هو كذلك فقد كان لي ميزان أُعطي بالقليل منهم وآخذ بالزائد....

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١-٥.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يخصّ هذا الأمر بأهميّة قصوى حيث كان يأتي سوق الكوفـة ويقول: «يا أيّها الناس اتقوا الله، ﴿وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1]»[2].

ما هو التطفيف؟

إنّ المصداق الأوضح للتطفيف هو أن يُعطي المطفِّف للطرف الآخر أقل ممّا اتفقا عليه وزناً أو كيلاً، كما إذا اتّفقا على عشرة «كلغ» فأعطاه تسعة ونصف الكيلوغرام.

التطفيف الحكميّ

وهـو أن يُعطي عشرة ولكن يجعل فيهـا مقدار كيلوغرام من غير المتّفق عليه ممّا لا قيمة له، فهنا في الواقع بخس الميزان لأنّه بحكم من أعطى تسعة «كلغ» لا عشرة، كما لو خلط الحنطة بالتراب، أو اللبن بالماء.

وكذلـك يلحـق بالتطفيف حكماً نقصـان المبيع عـدّاً أو قياسـاً ومساحة، كما لو اشترى عشر بيضات فأقبضه تسعاً، أو عشرة أذرع من القماش فأعطاه تسعة ونصفاً فإنّ هذا وأمثاله ملحق بالتطفيف المحرّم.

التطفيف في العلاقات

صحيـح أنّ حرمـة التطفيـف والبخس فـي الميزان كحكـم شرعيّ فقهـيّ يتعلّق بمعاملة البيع والشراء، إلا أنّ روح الآيات تستدعي من الإنسان أن لا يُطفِّف في جميع معاملاته وأحكامه بشأن الآخرين.

فحقيقـة التطفيـف هو أن تستوفي حقّك كامـلاً من الآخرين، وأمّـا إذا أردت أن تُعطي فإنّك تُعطي ناقصاً وأقلّ ممّا يستحقّ!

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٥.

(٢) انظر: جامع أحاديث الشيعة، السيّد البروجردي، ج١٦، ص ٧٢٤.

إذا كان هـذا هو ملاك وحقيقة التطفيـف فانظر إلى علاقاتك ومعاملاتك فإنّك قد يصدق عليك مفهوم المطفِّف.

التطفيف في العلاقة باللّه تعالى

مثـلاً انظر إلى علاقتك بربِّك تبـارك وتعالى فأنت تطلب من اللّه تعالى أن يهبك كلّ مـا تبتغيـه وتُريده وترى أنّ من حقِّك ذلك، بحيث إذا قتّر عليك من رزقك حصل فـي نفسك اعتراض، وكذلك إذا مرضت، أو دعوت اللّه تعالـى في أمر ولم يُستجب لك...إلخ.

فإنّـك تُريد استيفاء تمام النعم، وبالفعـل نعم اللّه علينا لا يحصى عددها، ولكن في المقابل، أنت ماذا أعطيت لدينك ولشريعة اللّه تعالى؟!

أنـت تُعطي القليل وتطلب من اللّه الكثير، تُقصِّـر ولا تفي بواجب شكر النعم ومع ذلك تطلب الاستزادة منها، ألست تبخس حقّ اللّه تعالى بالتفريط بالكثير ممّا يطلبه منك؟!

فإنّ مناط التطفيف متحقِّق إذاً في علاقاتنا بالخالق عزّ شأنه وجلّ ثناؤه.

وقد ورد التعبير عن هذا في بعض الأدعية كما في دعاء السحر للإمام السجّاد عليه السلام:

«**الحمد للّه الّذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني..**».

بـل بعضـ الناس ليس بطيئاً فحسب بل أصلاً لا يُجيب داعي اللّه تعالى، ومع ذلك يطلب منه تعالى كلّ شيء ويجد في نفسه أنّ له الحقّ على اللّه بذلك.

«**والحمد للّه الّذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني..**»

وهنـا إشـارة لطيفة في المقابلـة بين ما أطلب مـن اللّه تعالى ومـا يطلبه تعالى منّـي، فأنا أطلب حينما أطلب أن يُعطيني، بينما هـو تعالى يطلب أن يستقرضني أي يطلـب قرضاً، والقرضـ يتضمّن استعـادة الشيء المقترض، فـاللّه تعالى جواد في العطـاء بلا طلب استرداد، بينما العبد حتّى في الشيء الّذي وعد اللّه تعالى بإعادته

إليـه وبالأضعاف المضاعفة هو بخيـل ببذله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾[1].

أليست هذه المعاملة مع الخالق عزّ شأنه وجلّ ثناؤه معاملة تطفيف؟

نسأل الله تعالى أن يتجاوز عنّا ويرحمنا ويتلطّف بنا ويترحّم على عجزنا وضعفنا إنّه أرحم الراحمين.

التطفيف في العلاقة مع الناس

إذا كان التطفيـف هو استيفاء حقّك كاملاً مـن الآخرين وبالمقابل عدم إيفائهم تمام حقوقهم منك، فإنّه يصدق على الإنسان في معاملته لأخيه الإنسان.

وهذا يكون في شتّى العلاقات الإنسانية، وعلى سبيل المثال:

- علاقة الابن بوالديه فإنّه يطلب منهما أن يكونا مثالين ونموذجين في عاطفتهما تجاهـه، وفي دوام التفكير في مصالحه ومنافعـه وتأمين ما يحتاج إليه ويستأنس به ويرتاح إليه، وإن قصّرا في النموذجية في علاقتهما به فإنّه يتبرّم وينتقدهما لأنّهما لـم يكونا بالمستوى المطلـوب من الأبوين.. كلّ ذلك لأنّه يُريـد أن يرى من جانبهما تطبيقاً مثالياً لا يُقصِّر بأي تفصيل ولو عن غير قصد.

ولكـن هذا الابن قد يكـون غافلاً بالكلّية عـن أنّ عليه هو الآخـر واجبات مثالية نموذجيـة تجاههما، فكم يا ترى هو باذل ومهتمّ ومضـحٍّ في سبيل برّهما وطاعتهما والقيام بحوائجهما؟

فإنّـه إن أنصف لحَكَمَ على نفسه، حيث إنه يطلـب الأخذ دون التفات الى العطاء فيأتي عطاؤه على فرض حصوله منقوصاً، أليس هذا روح التطفيف في المعاملة؟!

وفي دائرة الحياة الزوجية قد يُطالب الزوج زوجته بأدقّ المستحبّات ويستشهد

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

لها بأشدّ الروايات الّتي هي بصدد بيان مرتبة راقية بل أرقى مراتب الزوجة المؤمنة الصالحة، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ من خير نسائكم... العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها**»[1].

أو كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «...**إذا غضب عليها زوجها لم تكتحل بغمض حتّى يرضى**»[2].

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[3] إلى غير ذلك من التكاليف الّتي هي من صفات المؤمنة الكاملة.

ولكن بالمقابل لا يطلب من نفسه أن يكون الزوج النموذجيّ والمؤمن الكامل الّذي يمتثل لقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[4].

ويتغافل عن قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[5].

ويضرب صفحاً عن قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[6].

فيُسيء العِشْرَة بالقول والفعل ويُسيء الخُلق، فتكون النتيجة أنّه يُريد أخذ تمام الحقّ من غيره ولكن، إذا أعطى فإنّه يُعطي منقوصاً، وهذا بخس في الكيل في المعاملة الزوجية.

ونفس الكلام يجري على الزوجة عندما تُطالب زوجها بكلّ ما تُريد فإذا ألجأته الحياة إلى تقصير ما في التوسعة أو في أمر من الأمور الّتي تعتقد الزوجة بأنّها من حقّها فإنّها تخرج عن طورها وتبدأ بالتقريع وإلقاء اللوم والتعنيف..

بينما نجدها مضيّعة لأبسط حقوق الزوج غير حافظة لقدسيّة الحياة الزوجية،

---

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٧، ص ٤٠٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٣٢٥.

(٣) م.ن، ج ٥، ص ٥٠٨.

(٤) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٢٠، ص ١٧١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٩.

غير مستعدّة للتضحية في سبيل زوجها بل مفرِّطة فيما عليها تجاهه. وهذا بخس في الميزان في العلاقة الزوجية من قِبَل الزوجة.

وكذلك في سائر العلاقات الأخرى ينبغي للمؤمن أن يتحرّى الإنصاف مع الآخرين، وقد عبّرت الروايات عن أخذ الحقّ وإعطائه وعن عدم البخس في ميزان العلاقات الإنسانية بالإنصاف، وشدّدت بشأنه أيّما تشديد، حيث ورد في رواية شريفة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه من أشدّ ما فرض الله على العباد: «**إنصافك الناس من نفسك**»[١].

وإذا سألت عن قاعدة جامعة وميزان كامل للإنصاف في المعاملة فخذها كلمة من أمير الفصاحة والبلاغة أمير المؤمنين عليه السلام في سياق وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**يا بُنيّ اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تُحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تُحبّ أن تُظلم، وأحسن كما تُحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك**»[٢].

صدقاً هذه الكلمات المتألّقة لو أنّها تُنقش على لوح القلب لتكون دائماً هي المعيار في علاقاتنا وتكون حافزاً لأخذ المواقف والقرارات على طبقها ومؤدّاها لصلحت أخلاق الناس ولعشنا في المدينة الفاضلة، فإنّها جمعت شتات مسائل الأخلاق.

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾[٣]:

وحيث إنّنا نتكلّم عن حرمة التطفيف، وقبح الكيل بمكيالين، فمن المفيد أن نُلفت النظر إلى صورة من البخس في الميزان هي موجودة عند بعض الناس للأسف وهي أنّ الإنسان لحبّه لذاته وأنانيّته يحبّ أن يُقدِّر الآخرون له أيّ عمل أو جهد أو إنجاز

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٦٦، ص ٤٠٥.

(٢) نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح الشيخ محمّد عبده، ج ٣، ص ٤٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

قام به، ويتوقّع منهم الثناء الجميل والتكريم، ويرى أنّه جدير بذلك ومستحقّ له، وقد تسمع منه مبالغة في وصف ما حقّقه وتحسينه وإبراز مميّزاته..

بينما إذا قام غيره بما يُماثل عمله بل وحتّى بما هو خير من عمله وأكمل، نجده لا يُعطيه الحدّ الأدنى من التحسين والثناء عليه، بل قد يقوم ببعض ما يحطّ من قيمته بالقول أو الفعل، بالصراحة أو بالتعريض والتلميح..!

فصاحب هذا السلوك المشين عليه أن يتذكّر قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾.

وليعد عن هذا الخُلق السيّئ، وليُنصف الآخرين في جهودهم وإنجازاتهم وما بذلوه ليحقّقوا ما حقّقوه، وليُحبّ لغيره ما يُحبّه من الآخرين لنفسه.

وهذا له مصاديق كثيرة نترك لكم تحديدها بعد أن لفتنا النظر إلى أصل هذا المرض العضال.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف وأن يُجنّبنا كلّ بخس وتطفيف

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيّته، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، وأنصف الناس من نفسه**»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإنصاف أفضل الفضائل**»[2].

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٥، ص ٢٨٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٥١.



أن يكون الإنسان مظلوماً أفضل من أن يكون ظالماً

سؤال: إذا تعرّض الإنسان لهجوم من شخص ما واحتمل أو قطع بأن يؤدّي هذا الهجوم إلى قتله إن لم يدافع عن نفسه، فهل يجوز في هذه الصورة دفع المهاجم أو قتله؟

الجواب: إذا كان متمكّناً من الهروب فيجب عليه الإفلات. في البداية قُتل العمّ الأكبر للبشر «**هابيل**» بيد أخيه «**قابيل**»، وقتل ابن ملجم اللعين أفضل الأوصياء، بل أفضل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

نسأل الله أن لا يبتلينا بالضلالة، وإذا ـ لا سمح الله ـ ابتُلينا بذلك فنسأله أن لا يجعلنا مضلّين للآخرين، وإذا صرنا مضلّين فنسأله ألا يستمرّ إضلالنا البشر إلى يوم القيامة. مَن الّذي يقدر أن يجيب عن كلّ هؤلاء الناس الّذين أضلّهم هذان الرجلان [وأبعدهم] عن طريق القرآن والعترة؟!

إذا دار الأمر بين أن يكون الإنسان ظالماً أو يكون مظلوماً فـ «**أقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين**».

في مدرسة الشيخ بهجت قدس سره، ج١، ص ١٠٧.

6

الربا والقرض

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾[2]

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٠-١٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

تمهيد

إنّ الربا من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب في الشريعة المحمّدية. ومن يتدبّر في الآيات والروايات يجد أنّه قد شدّد القرآن الكريم في تحريم الربا ما لم يُشدِّد في أيّ ذنب من الذنوب «**ما خلا تولّي أعداء الله**»، وهذا ما يستظهره العلامة الطباطبائيّ في تفسيره.

يقول قدّس سرّه: «.. **وأمّا سائر الكبائر فإنّ القرآن وإن أعلن مخالفتها وشدّد القول فيها، فإنّ لحن القول في تحريمها دون ما في هذين الأمرين، حتّى الزنا وشرب الخمر والقمار والظلم وما هو أعظم من ذلك كقتل النفس الّتي حرم الله... فجميع ذلك دون الربا...**»[1].

وطبعاً عندما تسمع بهذا التشديد والتغليظ بشأن الربا لا بدّ لك أن تتساءل: ما السبب في ذلك؟! لماذا يكون الربا أعظم من الزنا، بل حتّى الزنا بالمَحرم، وأعظم من القتل؟!

نقول لا بُدّ أن تعرف أنّ التشديد في شيء أو الدفع نحو شيء في الشريعة ليس أمراً انتقائياً ومن دون خلفيات واقعية قد تُعلم لدينا وقد لا تكون معروفة. هذه الخلفيات تُسمّى ملاكات الأحكام؛ فكلّ حكم له مصلحة ينشأ عنها إن كان وجوبياً أو ندبياً استحبابياً، وله مفسدة إن كان تحريمياً أو فيه كراهة.

وعليه فشدّة الحرمة للربا لها خلفيتها الّتي يمكن إدراكها من خلال الروايات أو الاستنباط والتجربة والتحليل الّذي يخضع إلى كلّيّات الشريعة المقدّسة.

(١) تفسير الميزان، السيّد الطباطبائي، ج ٢، ص ٤٠٩.

نقـول إنّ الكبائـر الأخـرى كالسرقـة والزنا... تلحـق بالفرد وقد تتعـدّى لأفراد محدّديـن إلا أنّ الربا قد تعمّ بلواه فتصل إلـى محق الدِّين وطمس الفطرة الإنسانية ويفسـد نظام النوع الإنسانيّ ككلّ، وقد يؤدّي إلى الحروب العالمية كما قد ذكر بعض المفكريـن. ولنذكر بعض ما يترتّب على الربا ويلازمه من آثار خطيرة على المجتمع الإنساني وعلى الدِّين.

الربا في القرض

الربا في القرض هو أن أُقرضك مالاً إلى أجل فتُعيده إليّ بشرط الزيادة.

فـإذاً هو يفترض إنسانـاً مستغنياً يُعطي ويقرض وآخـر محتاجاً، وصاحب المال يضمـن مـن المستقرِض علـى أيّ حال ربحـاً وفائدة سـواء عمل أم لـم يعمل وربح المستقرِض أم لم يربح بل حتّى لو فَقَد كلّ المال.

فهنـاك طرف ضامـن للفائدة على ماله وطرف محتاج تترتّـب الفائدة عليه على كلّ الأحـوال، وكلّما طال أجل القرض تراكمت الفوائد على المدين المحتاج. وطبعاً هذا يترتّب عليه:

أوّلاً: انقسـام الناس إلى غنيّ ثـريّ، ومعدم فقير. وهذا خلاف العدالة الاجتماعية، فالـكلّ لـه الحقّ بالحيـاة الكريمة، ولذلك يقـول تعالـى: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾[1].

وهذا يلزم منه:

أ. الربح من غير عمل يُقابلـه، أي تكون الثروة هي الّتي تدرّ على أصحابها الأرباح وهـم عطّالون بطّالـون، يعبثون ويلهـون ويلعبـون، وفي المقابل يكـون الطرف الآخـر في جدٍّ وتعب وجهد وضنك، وهـذا يزداد يوماً بعد يوم، وتتّسع الهوّة بين الشريحتين.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

ب - عنـد اتّسـاع الشـرخ بين أصحـاب الأموال وبيـن شريحة الفقـراء تنبعث مشاعـر: الحقد، والكراهية، وحبّ الانتقـام، والبغض الشديد من الفقراء للأثرياء.

ج - هذا يؤدّي إلى الانتقام الفعليّ وتتفشّى ظواهر هذا الانتقام بصور مختلفة، من السرقة، والاختلاس، والخيانة، والاحتيال... وقد تصل إلى القتل..

وطبعاً هذا يُساهم في تفشّي الرذيلة والابتعاد عن الفضيلة.

وهذا ما ألمحنا إليه من أنّه قد يكون الربا من الأسباب لحصول الحروب العالمية كما قاله بعض المفكّرين، فإن إفساده يعمّ ويتّسع ويكبر.

ثانيـاً: فـي البيع والتجارات تكون احتمالات الربح والخسـارة، والربح القليل والربح الكثير، كلّها موجودة وواردة، ويكون التعلّق بالله تعالى ودعاؤه لنيل البركة والتوفيق للأسبـاب المؤدّية للنمـوّ والربح موجوداً وفعّـالاً، بخلافه فـي المعاملة الربوية؛ فالاعتمـاد عند المرابي علـى الفائدة، ولا حاجة عنده للالتجاء إلى الله والدعاء بنظر المرابي؛ لأنّ الفائدة متحقّقة على أيّ حال.

ثالثـاً: تنتفـي العاطفة الإنسانية بين بنـي البشر؛ لأنّ المرابي همّـه تحصيل المال الربـويّ أبقـىَ الطرف الآخر المسكين علـى قيد الحياة أم مـات، فليس هذا من شأنه، ولا يعني له الأمر شيئاً، لذلك يَنقل التاريخ أنّ الّذي كان يعجز في الجاهلية عـن الالتزام بمقتضى المعاقدة الربويـة كان يضطّر إلى أن يدفع لصاحب المال ابنه فيكون عبداً ورقّاً له مقابل الربا المتراكم.

وعليه فأين التوادّ والتراحم وعاطفة الإنسان على أخيه الإنسان، هذا الّذي أراده الإسلام أن ينمو ويكبر ويعظم من خلال الصدقات والهبات والهدايا والإقراض بلا مقابل؟

رابعـاً: ينتفـي الثـواب المترتّب على القرض حيـث إنّ عليه ثواباً عظيمـاً أعظم من ثواب الصدقة، فالصدقة بعشرة والقرض كما ورد في الرواية بثمانية عشر، فإنّ

الإنســان سيُحــرم من هذا الثواب الكبيــر إذا استبدل القرضـ الحسن بالقرض الربويّ، وبالتالي سينقطع طريق المعروف...

عــن سماعــة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي رأيت الله عزّ وجلّ قد ذكر الربا فــي غير آيــة وكرّره، فقــال عليه السلام: «**أوَ تدري لـم ذاك؟ قلت: لا. قـال** عليه السلام: **لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف**»[1].

وكذلك الثواب على الإمهال للمقترض، فقد ورد أنّه إذا أمهل صاحب المال المدين كان له بكلّ يوم يُمهله ويصبر عليه ثواب الصدقة بذلك المال.

هذه بعض اللوازم الشنيعة للربا.

- وتجدر الإشارة إلى أنّ الربا يكون في القرض ويكون في معاملة البيع، وباختصار شديد لأن بحثنا ليس بحثاً فقهياً نقول:

الربا في القرض: هو أن يحصل الاقتراض إلى أجل مع اشتراط الفائدة عليه عند إرجاعه إلى المقرِض، سواء كانت الفائدة عينية أو منفعة أو غير ذلك.

الربــا في المعاملة: أي في البيع يُشترط أن يكون الثمن والمثمّن من جنس واحد، وأن يكــون ذلك الجنس مــن المكيل أو الموزون دون المعــدود ودون المقدّر بالمتر أو الهكتار «**كالقماش والعقار**» فإذا كان المبيع والثمن من جنس واحد وكانا من المكيل أو المــوزون وكان أحدهمــا أزيــد من الآخر كان البيــع ربوياً، دونمــا إذا كان معدوداً كالبيضــ «**كما في بعض البلدان**» فإنه لا ربــا مع الزيادة، وكذلك مع اختلاف الثمن والمثمّن في الجنس ولو مع الزيادة كبيع الحنطة بالأرز.

الفرق بين الربا والمضاربة

الإســلام لــم يقفل باب الحلال فــي جني الأموال، فكمــا أنّه حرّم الربــا فإنّه في المقابل حلّل كثيراً من المعاملات ومنها معاملة المضاربة.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ١٤٦.

فبعض الناس لا يُفرِّق بين الربا وبين المضاربة بالمال، فالمضاربة أن يكون هناك صاحب مال يضع ماله عند عامل يتّجر ويضارب به، فهو يُقدِّم العمل ويبذل نفسه وصاحب المال يُقدِّم المال، ويُفرّق هذا عن الربا:

أوّلاً: في المضاربة يجب تحديد نسبة الربح لصاحب المال أي النسبة المئوية، ٢٠٪ أو ٣٠٪ من الربح، بينما في المعاملة الربوية لا يوجد تحديد نسبة للربح، بل تُحدّد مقطوعية لصاحب المال يأخذها سواء حصل ربح كثير أم قليل بل حتّى لو لم يحصل ربح.

ثانياً: الخسارة في المضاربة تكون على الطرفين «صاحب المال والعامل» بينما في الربا تكون الخسارة على المقترِض العامل بالمال.

فإذاً لكي ننقل المعاملة من الربا الحرام إلى المضاربة الحلال يجب تحديد نسبة الربح، ويكون التباني على أن الخسارة على الطرفين معاً.

بعض ما ورد من النصوص في التغليظ بشأن الرّبا:

١ - حرب من الله ورسوله

المرابي المصرّ على الربا هو مصرّ على الحرب مع الله تعالى ورسوله ﷺ، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾[1].

٢ - الخلود في النار

المرابي المصرّ على الربا غير التائب إذا مات على ذلك فإنّه من المخلّدين في النار، يقول تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨ـ ٢٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

٣- من أكبر الذنوب

وأمّا في الأحاديث: فعن الرسول ﷺ: «**الربا سبعون جزءاً، فأيسره مثل أن ينكح الرجل أمّه في بيت الله الحرام**»[١].

- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**درهم ربا أشدّ عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم**»[٢].

٤- لعن الرسول له

- ملعون على لسان رسول الله ﷺ: فعن الإمام علي عليه السلام: «**لعن رسول الله ﷺ الربا وآكله وبايعه، ومشتريه، وكاتبه، وشاهديه**»[٣].

٥- معاقبته في الدنيا

- لو يتمكّن الإمام الصادق عليه السلام من المرابي لضرب عنقه، قال عليه السلام: «**لئن أمكنني الله تعالى منه لأضربنّ عنقه**»[٤]. طبعاً معاقبة المرابي من وظيفة الإمام أو الحاكم الشرعيّ وليست وظيفة كلّ أحد.

٦- لم يُقبل له عمل

- وعن النبي ﷺ: «**من أكل الربا ملأ الله بطنه ناراً بقدر ما أكل منه، فإن كسب منه مالاً لم يقبل الله شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما دام عنده منه قيراط**»[٥].

٧- كيف يُحشر آكل الربا؟

عن النبيّ الأعظم ﷺ: «**لما أُسري بي إلى السماء رأيت أقواماً يُريد أحدهم أن يقوم**

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ٧٤، ص ٥٨.

(٢) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج ١، ص ١٣١.

(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٢، ص ٤٣٠.

(٤) م.ن، ج ١٢، ص ٤٢٩.

(٥) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٣، ص ٣٣٢.

ولا يقدر عليه لعظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الّذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الّذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً ويقولون ربّنا متى تقوم الساعة؟»[1].

وفي رواية قال الرسول الأكرم ﷺ لمعاذ بن جبل: «... **يُحشر أصناف من أمّتي أشتاتاً، قد ميّزهم الله من المسلمين وبدّل صورهم... وأمّا المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا**»[2].

فيا أيها الأخ المؤمن انتبه إلى مكسبك ودقّق فيما تُدخله إلى بطنك وبطون عيالك، ولا يغرّنّك حفنة من مال عن دِينك، ولا يغرّنّك بالله الغرور من شياطين الجنّ والإنس، فالدنيا كلّها زائلة فانية لا تستأهل أن تجني على نفسك فيها وتقتحم الهلكة من خلال أكل الربا كان ما كان، والله تعالى بيّن في كلامه العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنّه سيمحق الربا، فالمرابي سيجد في الدنيا قبل الآخرة أنّه لا بركة في ربحه بل سيتعجّب من طريقة ذهابه من حيث لا يشعر بل قد يُبتلى بأشياء عظيمة، وإليك هذه القصة، فإنّها عبرة لمن اعتبر.

عاقبة المرابي في الدنيا قبل الآخرة

يقول الشيخ المظاهري: كان هناك رجل في أصفهان معتدٍ كان يتعاطى الربا والاحتكار رغم الغلاء الشديد، فكان يمتصّ دماء الناس.. وعندما أصاب القحط البلاد وقد شحّ القمح وغلا ثمنه توجّه خبّازو أصفهان إليه وطلبوا منه أن يبيع القمح الّذي يختزنه، فقال: كم تشترون؟ قالوا بكذا.

قال: بل بكذا وحدّد سعراً أرفع، وهكذا كلّما اقترحوا قيمة للقمح كان يرفع السعر، لذلك لم يتّفقوا، وقال: اصبروا إلى يوم غد كي أفكر، إلا أنّه بالنتيجة لم يُعطِ القمح للناس، ومرّت فترة الشدّة ومات من مات وجاع من جاع.. ولم تمرّ فترة طويلة من

(١) انظر: بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج ١٨، ص ٣٢٤.

(٢) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، ج ٣، ص ٤٣٥.

الزمـن حتّى ابتُلي بألم في ساقه وعُرض على أطباء فلم تتحسّن صحّته، وأخيراً قرّر الأطباء بعد التشاور أنّ قدمه لا بُدّ أن تُقطع، إلا أنّه من أين تُقطع؟!

وضـع يده إلى طرف السـاق الأسفل قائلاً: إذا كان لا بُدّ فمن هنا، فقال الطبيب: لا، مـن هنا لا يُفيـد ارتفع إلى الأعلى، يـا سبحان الله. كما كان يطلـب لسعر القمح دائمـاً الأعلى والأرفع، ابتلاه الله بنفسه، بنفس المبـدأ الّذي تسبّب فيه بآلام الكثير بل بموت بعضهم، وأخيراً دفع كلّ ماله وقطعوا ساقه.

وضلّ أولاده من بعده يعانون من المصائب والمتاعب(١).



طريق السعادة غير مسدود

يقولـون: إنّ النبـيّ الأكـرم ﷺ قـد رحـل مـن بيـن ظهرانينـا، وإنّ إمـام الزمـان عجّل الله فرجه الشريف غائـب أيضاً، ولا يمكن الوصـول إليه ونيل غوثه، وعلـى هذا فنحن مستضعفـون ومحرومـون مـن السعـادة ولا حيلـة لنـا.

فهل الأمر كذلك؟

كلا، ليس الأمر كما يقولون؛ لأنّ العقل والشرع يثبتان لنا أنّ الإنسان المتديّن والعاقل يستطيع إدارة شؤونـه الدينية؛ إذ إنّ دفتر الدِّين وقوانينه الشرعية تحت أيدينا. وإذا لـم نكن نعلم بها أو نتمكّن منهـا، فيجب علينا بحكم العقل والعقـلاء سؤال الآخرين الّذين يعلمون، وتشخيص صحّة وخطأ الجواب من طريق العقل والدِّين. فهذا مقتضى كـون الإنسان عاقلاً. وفـي كلّ موضع لم يتّضح له الطريق فالاحتيـاط بالنسبة له هو طريق النجاة. وعليه فطريق السعادة للإنسان ليس مغلقاً في أيّ مكان أو زمان.

في مدرسة الشيخ بهجت قدس سره، ج١، ص ٤٤.

---

(١) جهاد النفس، المظاهري، ص١٠٨.

7

الإجارة ضوابطها وآدابها

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

تمهيد

مـن المسلّم بـه الواضح لكلّ إنسان يعقل أنّ الناس تحتـاج لبعضها بعضاً لتسيير أمورها وقضاء حوائجها. فالإنسان لا يستغني عن الآخرين، ولا يقدر على ذلك حيث إنّ حوائجـه كثيـرة ولا يقدر علـى سدِّها بمفرده. ففـي الطعام والشـراب والمسكن واللباس وغيرها من الحاجات، يوجد العديد من المهـن والصنائع والحرف فكيف له بامتهانها جميعاً؟!

هـذا غير متيسّر لشخص بمفـرده، فاحتاج بنو البشر لأجـل التكامل فيما بينهم أن يبنـوا مجتمعاً تتبـادل الناس فيه الحاجات، فأنا أعطيـك عملي في حرفتي وأنت تُعطيني نتاج جهدك في صنعتك وهكذا..

ومـن هذا المنطلق احتاج الناس أيضاً إلى بعضهـم بعضاً في الاستخدام فهناك صاحب عمل وهو يحتاج إلى عمّال سواء في الزراعة أم في الصناعة أم في التجارة، فـلا تصلح الحيـاة الاجتماعية بأن يكون كلّ الناس أرباب عمل واحد. ومن هنا كانت حكمة اللّه تعالى في التباين بين الخلق في الهمم والطموحات والإرادات والعزائم..

وهـذا مـا يُشير إليه سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام عندما يُبيّن مـا تتضمّنه الآية القرآنيـة المتقدِّمة من حقائق والتـي منها الحكمة في خلق الناس بقابليّات متفاوتة، ومنهـا الحكمـة في تسخير بعض الناس لبعضهـم بعضاً، وكون بعضهـم مستخدِماً والآخر مستخدَماً.

فإنّـه عليه السلام استـدلّ بالآية الشريفة على كـون الإجارة من وجـوه المعاش، وأنّها مشروعـة وثابتة فـي الدِّين والشـرع المبين وعلى أنّهـا لا بُدّ منهـا، وأنّ أمور الخلق

ومعايشهـم لا تستقيم بدونها. فقد نقل السيّـد المرتضى قدس سره عن تفسير النعماني بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان معايش الخلق، قال عليه السلام:

وجه الإجارة

- «**وأمّا وجه الإجارة فقوله عزّ وجلّ:**

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١].

فأخبرنا سبحانه أنّ الإجارة أحد معايش الخلق، إذ خالف بحكمته بين هممهم وإرادتهم وسائر حالاتهم، وجعل ذلك قواماً لمعايش الخلق، وهو الرجل يستأجر الرجل في ضيعته وأعماله وأحكامه وتصرّفاته وأملاكه.

ولو كان الرجل منّا يضطرّ إلى أن يكوّن بنّاء لنفسه، أو نجّاراً، أو صانعاً في شيء من جميع أنواع الصنائع لنفسه، ويتولّى جميع ما يحتاج إليه من إصلاح الثياب وما يحتاج إليه من الملك فمن دونه، ما استقامت أحوال العالم بتلك، ولا اتّسعوا له ولعجزوا عنه، ولكنّه أتقن تدبيره لمخالفته بين هممهم وكلّ ما يطلب مما تنصرف إليه همّته ممّا يقوم به بعضهم لبعض، وليستغني بعضهم ببعض في أبواب المعايش الّتي بها صلاح أحوالهم»[٢].

فلا كلام إذاً في مشروعية الإجارة، وحاجة الخلق إليها وإلا تعسّرت الحياة على الإنسان..وإنّما الكلام في عدّة نقاط مهمّة في طيّات أبحاث الإجارة من شروط وآداب، قد يُبتلى بها الناس بالإخلال بها وهم لا يدرون، وربّما سبّب هذا الإخلال خللاً في العلاقات ما بين المؤمنين، مما استدعى ذكرها لتعلّمها وتطبيق الشريعة المقدّسة، لما فيها من درء لتلك المناكفات والمخاصمات الّتي قد تتطوّر لتفقد

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٩، ص ١٠٣.

الإنسان تقواه وتوقعه في التهلكة.

فإذا كانت الإجـارة من العقود والمعاملات الّتي شُرّعـت لصلاح معايش العباد، فـلا ينبغي أن يتخلّلهـا ما يُفسد علاقاتهم ويتطـرّق بالتالي إلى إفسـاد الودّ والألفة فيما بينهم، فهذا ينقض الغرض، ولذلك جعلت الشريعة ضوابط وآداباً لتنظيم هذه المعاملة، وتلافي ما يُمكن أن يحدث من منازعات بين المتعاملين قد تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه سواء على صعيد الدنيا أم الآخرة، ومنها:

١ - دفع الغرر

يجب دفع الغرر وذلك بمعلومية كلٍّ من المنفعة والعوض عليها من دون أن يشوبهما إبهـام، وتحديد المدّة. ومن هنا تبنّى مشهور الفقهـاء تعريف الإجارة بأنّها: «**عبارة عـن تمليـك منفعة معلومـة بعوض معلـوم**[١]»، وقالوا: ثمرتها نقـل المنافع بعوض معلوم مع بقاء الملك على أصله[٢].

وهذا واضح الدلالة والحكمة، فإنّ التغرير بالآخرين هو الّذي يفتح باب المنازعة وطريق الشيطان إلى القلوب.

٢ - استحباب مقاطعة الأجير

حثّـت الشريعة بشكل كبير على مقاطعة الأجير قبـل العمل «**أي الاتّفاق معه قبل العمل**»، وفي رواية الإمام الرضا عليه السلام مبالغة في التأكيد على الاتّفاق بشأن الأجرة قبل الشروع في العمل.

فقد روى سليمان بن جعفر الجعفريّ قال:

كنت مع الرضا عليه السلام في بعض الحاجة فأردت أن أنصرف إلى منزلي فقال لي: «**انصـرف معـي فبِتْ عندي الليلة**»، فانطلقـت معه فدخل إلى داره مع المغيب فنظر

(١) القواعد الفقهية، السيّد البجنوردي، ج ٤، ص ٦١.

(٢) قواعد الأحكام، العلامة الحلّي، ج ٢، ص ٢٨١.

إلى غلمانه يعملون في الطين أواري «**والأريّ بتشديد الياء وبدون التشديد محبس الدابّة**» الدوابّ وغير ذلك وإذا معهم أسود ليس منهم، فقال:

«**ما هذا الرجل معكم؟**»

قالوا: يعاوننا ونُعطيه شيئاً.

قال عليه السلام: «**قاطعتموه على أجرته؟**»

قالوا: لا، هو يرضى منّا بما نُعطيه، فأقبل عليهم (يعنّفهم) وغضب لذلك غضباً شديـداً، فقلت: جعلت فداك لم تدخـل على نفسك؟ فقال: «**إنّي قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرّة أن يعمل معهم أحد (أجير) حتّى يقاطعوه على أجرته.**

واعلم أنّه ما من أحد يعمل لك شيئاً بغير مقاطعة ثمّ زدته لذلك الشيء ثلاثة أضعاف على أجرته إلا ظنّ أنّك قد نقّصته أجرته، وإذا قاطعته ثمّ أعطيته أجرته حمدك على الوفاء، فإن زدته حبّة عرف ذلك لك، ورأى أنّك قد زدته»[1].

ولا يخفـى ما فـي كلام الإمام عليه السلام من تشديد بهذا الشأن، فلا ينبغي التفريط به حتّى لو كان الاعتماد على الثقة بين الطرفين وأنّهما لا يختلفان وذلك لقطع منبت الفساد من جذوره.

وطبعاً هناك روايات أخرى تؤكّد وتُشدّد على هذا الأمر:

- فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا استأجر أحدكم أجيراً فليعلمه أجره**»[2].

- وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يستعمل أجير حتّى يعلم ما أجرته**»[3].

- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يستعملن**

---

(١) وسائل الشيعة «**الإسلامية**»، الحرّ العاملي، ج ٣١، ص ٢٤٥.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهريّ، ج ١، ص ٢٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤، ص ١٠.

أجيراً حتّى يعلمه ما أجره»[١]

ويندرج هذا الأمر وهو الحثّ على المقاطعة بين المستأجر والأجير تحت المبدأ الّذي ذكرناه وهو ضمان عدم المنازعة بعد العمل، أو قل تقليص فرصها إلى أقصى الحدود.

فالدِّين الحنيف يعمل في أحكامه وتشريعاته وإرشاداته على رفع مقتضيات التنازع وإرساء موجبات الودّ والرضا لكي يحفظ الحياة الإنسانية بأرقى صورها وأجلى قيمها وأبهى حللها، فتتوطّد العلاقات وتسود المحبّة والألفة بين المؤمنين، وتغيب مظاهر التنازع والشحناء وما يتعقّبها من حقد وتباغض..

إذاً، من المندوب شرعاً أن نتكلّم بالأجرة سواء كنت أجيراً لأحد، أم كنت مستأجراً له، ولا تستخفّ بهذا المستحبّ، فمثلاً:

- إذا استأجرت سيارة لتقلّك إلى مكان، حدّد المنطقة بشكل واضح، واتّفق مع السائق على الأجرة، ولا تقل تلك المقولة الّتي يردّدها أكثر الناس: «**سوف لا نختلف**» إلّا أنّهم وللأسف كثيراً ما يختلفون عند انتهاء العمل.

- إذا استأجرت بنّاء ليبني لك، أو حدّاداً، أو نجّاراً أو أيّ عامل لأيّ حرفة، اتّفق معه على قدر الأجرة.

- لا تقل إنّي أستحيي أن أقاطعه، فتبدأ بالعمل قبل أن تُحدِّد الأجرة.

تذكّر أنّ الاتّفاق على الأجرة قبل العمل هو من الأحكام الشرعية المستحبّة فطبّقه ولا تتخلّف عن امتثاله ولك ثواب عليه.

٣- مراعاة جانب العامل

فقد ورد في الكتاب الكريم على لسان يعقوب عليه السلام أنّه قال لموسى عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾[٢].

---

(١) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج ٥، ص ٢٨٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٧.

هذه الآية يُستفاد منها بيان استحباب تسهيل المستأجِر المعاملة على العامِل فلا ينبغـي التشديـد عليـه ولا أن يشقّ عليه، فقد ورد في الرواية عـن رسول الله ﷺ أنّ المؤمن: «**سهل القضاء وسهل الاقتضاء**»[١]، ومن السهولة في القضاء:

- عدم تأخير إعطائه أجره.

وهـذا من الأمـور الهامّة أيضـاً الّتي أكّـدت عليهـا الشريعـة المقدّسة، وهنا أيضـاً بالغـت الشريعة فـي الحثّ على التعجيـل وعدم التأخير حيـث إنّها لم تكل ذلـك إلى الصـدق العرفيّ كما هـو ديدنها فـي الكثير من العناويـن والمفردات الشرعيـة بـل حدّدت هي المصـداق لعدم التأخيـر، فقالت على لسـان الرسول الأعظـم ﷺ:

«**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه**»[٢].

«**أعطوا الأجير أجره ما دام في رشحه**»[٣].

ولا يخفى على منصف ما لهذا الحكم الشرعيّ من أبعاد أخلاقية راقية، ومراعاة لأدقّ المشاعر والظروف، وتفكير بالآخرين.

أ - كأنّ السـرور الّـذي يُحدثه استيفـاء الأجير لأجره مباشـرة عقب العمل وقبل جفاف عرقه يُذهب عنه عناء كدِّه في ذلك العمل.

ب - إنّ الإيفاء السريع يستجلب المودّة بين العامل وصاحب العمل؛ فمع أنّ العامل لا يأخـذ إلا حقّـه إلا أنّ الوفـاء السريـع بنفسه هو نوع إحسـان، وهذا ما بيّنه الإمـام الرضا عليه السلام بقوله: «.. **ثـمّ أعطيته أجرته حمدك علـى الوفاء**»[٤]، فإذا سألت: لماذا الحمد على شيء يستحقّه؟ أجابك: على الوفاء.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٣، ص ١٩٦.

(٢) الخلاف، الشيخ الطوسي، ج ٣، ص ٤٨٦.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهريّ، ج ١، ص ٢٦.

(٤) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج ٥، ص ٢٨٩.

ج - هـذا يشجّـع العامل علـى العمل مـع المستأجر مـرّة أخرى، فـإذا ساد هذا الخُلق ساهم في تسهيـل التعامل، وبالتالي في تسهيل الحركة الاقتصادية في المجتمـع، بخلاف ما لـو كان المستأجِر معروفاً بالمماطلـة في الدفع فإنّ كلّ شيء ينعكس.

د - لعـلّ العامـل يكون فقيراً لا يدّخر من المال شيئـاً، فهو يحتاج إلى أجرة عمله يومـاً بيوم، فمع عدم استيفاء أجرته قد يضطـرّ إلى الاقتراض، أو إلى تأخير الحصول على احتياجاته.

فانظر أيّها المؤمن إلى ما منّ الله عليك من شريعة عذبة وجدانية، مفعمة بالقيم الأخلاقية والمعاني الإنسانية، والإحساس بالآخر ومراعاة أدقّ مشاعره وظروفه !!

فلا تُفرِّط بها وطبّق أحكامها شاكراً الله تعالى على ما هداك إليه.

٤- مراعاة جانب المستأجِر

فكمـا أنّ الدِّين ينظر إلـى الأجير بنظرة إنسانية، فكذلك ينظـر إلى المستأجِر، فإنّه لا بُدّ للأجير بدوره أن يتحلّى بالأخلاق والقيم في تعاطيه مع المستأجِر، وهذا لا يكون إلا بوجود عدّة عناصر في صفاته وأخلاقه. وقد بيّنت الآية الكريمة عمدة هذه الصفـات من خلال قول بنت شعيـب لوالدها عليه السلام: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[١].

- **القـوّة:** عبـارة عن الكفاءة فـي العمل، يقول مولانا أميـر المؤمنين عليه السلام: «**لا تقبلن في استعمال عمّالك وأمرائك شفاعة إلّا شفاعة الكفاية والأمانة**»[٢].

فالعاقـل إذا أراد إنجاز عمل فإنّه يطلـب ما يوصله إلى غايته على أكمل ما يكون، وهـذا يتطلّب أهلية وخبرة للوصـول إلى الغاية، ولا تُفيد العناصر الأخرى كالصداقة

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٧٦.

والقرابـة ولا حتّى الاستقامة والصلاح، فهذه العناصر إذا تجرّدت من الكفاءة فإنّها لا توصل إلى المقصد والهدف.

- **الأمانة**: من أهمّ الأمور الّتي ينبغي أن يتحلّى بها الأجير في معاملته مع المستأجر، فمثلاً:

- إذا أمّنك على صنف معيّن من البضاعة فلا تأته بصنف آخر.

- إذا أراد جودة معيّنة في العمل، أو اشترط خصوصيّة معيّنة فأتِ بها على وجهها من دون أيّ إخلال.

- إذا أنتـج العمل مخلّفات وبقايـا من العين المملوكة للمستأجر لا بُدّ من إعلامه بـه، حتّى قصاصات القماش الّتي تبقى عند الخيّاط من قماش الثوب المخاط، فإنّه لا بُدّ أن يُعيدها إلى المالك أو يتحلّل منه.

- أن يُحافـظ العامـل على مـال المستأجِر الّـذي بين يديه، ولا يُفـرِّط فيه، وإذا استطاع أن يعتبره كمالِه فليفعل، كما لو استأجرت داراً أو سيارة.

- أن يكـون أمينـاً علـى الوقت، فلا يُضيّـع الأوقات بلا عمل وهـو يأخذ أجرة في مقابلها.

الصـدق: وهو مـن أهمّ الصفات أيضاً الّتي يجب أن يتحلّـى بها العامل الأجير، وإلا فإنّه سيكون منحرفاً عن جادّة الصواب، فقد ورد عن رسول الله ﷺ:

«**ويـلٌ لتجّـار أمّتـي مـن لا والله وبلـى والله، وويـلٌ لصنّـاع أمّتـي مـن اليـوم وغداً**»[1].

أي ويلٌ لأصحاب الحرف من المواعيد الكاذبة، فيعد المتعامل معه بتسليم العمل وإنجـازه اليـوم ثمّ يقول إلى الغد وهكذا.. وغير ذلك مـن صور الكذب في المعاملة. فالنبي ﷺ يقول الويل لمن يكون كاذباً من أصحاب الصنائع على هذه الوتيرة.

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٣، ص ١٦٠.

- إذا وعدت بأنّك ستأتي في الساعة الفلانية فلا تُخلف.

- وإذا وعدت بأن تُسلّم العمل لمن استأجرك عليه في اليوم الفلاني فلا تُخلف.

- إذا وعدت بالنصيحة في العمل والتأنّي فيه فلا تُخلف.

٥- ظلم الأجير أجره من الكبائر

- فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ظلم الأجير أجره من الكبائر**»(١).

بعض الناس من الجهلة أو من الّذين لا يخافون الله تعالى يظنّون أنفسهم أذكياء عندما يقتطعون من أجر العامل بتحايل على قانون، أو برفع دعوى باطلة يكسبونها برشوة، أو بالقوّة وتحت التخويف..

نقول لهؤلاء إنّما تفرون لحمكم والويل لكم ممّا أعدّه الله لكم من عذاب أليم، ولعنٍ وطرد عن رحمته، وهو خصمكم يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. اسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، كيف يعظّمون هذه الخطيئة:

- فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله وحرّم عليه ريح الجنة، وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام**»(٢).

- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله عزّ وجلّ غافر كلّ ذنب إلا من أحدث ديناً، أو أغصب أجيراً أجره، أو رجل باع حراً**»(٣).

- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله عزّ وجلّ غافر كلّ ذنب إلا رجل اغتصب أجيراً أجره أو مهر امرأة**»(٤).

- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي**

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١٠٣، ص ١٧٠، ٢٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٥١٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٦.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٤، ص ٣١.

ثـمّ غـدر، ورجـل باع حراً فـأكل ثمنه، ورجـل استأجر أجيراً فاستوفـى منه ولم يُعطه أجره»[١].

- وعنه ﷺ: «**ألا من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه**»[٢].

- عـن أصبغ بـن نباتة: «**كنـت جالساً عنـد أمير المؤمنيـن عليّ بـن أبي طالب** عليه السلام **فـي مسجـد الكوفـة، فأتاه رجل مـن بجيلة يُكنّى أبا خديجـة، قال: يا أمير المؤمنين، أعندك سرٌّ من سرِّ رسول الله** ﷺ **تُحدِّثنا به؟**

قال: نعم، يا قنبر ائتني بالكتابة... مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم.... إنّ لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على من ظلم أجيراً أجره»[٣].

من آجر نفسه حظر على نفسه الرزق

هناك مطلب نريد أن نشير إليه في خاتم حديثنا وهو أنّه وإن كانت الشريعة تعتبر الإجـارة في غاية الأهمية بالإطار العامّ - كما مرّ وذكرنا- لعمارة المجتمع الإنسانيّ للتوصّل إلى المآرب والمقاصد الّتي يحتاجها الإنسان ويصبو إليها، إلا أنّها من ناحية أخرى تكره للشخص أن يكون أجيراً، ويُستفاد ذلك من روايات عدّة سنذكر بعضها.

فكيف سبيل الجمع بين الضرورة للاستئجار والاستخدام وإلا فتتعسّر الحياة كما بيّنّا، وبين كراهية أن يكون الإنسان أجيراً؟

والجواب: إنّ الشريعة قد راعت أمرين مهمّين وحافظت عليهما في وقت واحد، فقد راعـت الحاجة في المجتمع الإنسانـيّ للاستخدام بأن شرّعـت الإجارة ووضعت لهـا قوانينها وضوابطها، وراعت مسألة الدفع بالشخص نحو الترقّي وعدم رضاه بالمرتبـة الدنيا إذا كان يمتلك قابليّة الإنتـاج بالمستوى الأعلى وكان عنده طاقة فكرية إداريـة تخوّله أن يكون صاحب عمل ومديراً له بنفسه، فمثل هكذا شخص لماذا يبقى أجيراً مستخدَماً؟!

(١) كنز العمال: ٤٣٨٢٦.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٤، ص ٣٠.

(٣) م.ن، ج ١٤، ص ٣٠.

وبذلك تكـون الشريعة موصلة كلّ قابلية إلى منتهى كمالها وإلى غاية ما يمكن أن تصل إليه، فمن لا يمتلك الطاقة والطموح والقابلية والهمّة تراه يبقى أجيراً ولا ضير عليـه، غاية الأمر الكراهة، وحتّى الكراهة قـد ينتفي موضوعها مع عدم القدرة على الأكثر والأرفع من ذلك..

ولا يخفـى ما لهذه الأحكام المتناغمة فيما بينها مـن رؤية تكاملية جامعة تُراعي المصالـح المتعـدِّدة في وقت واحد من دون تناقض ولا تضارب، كما قد يتراءى من الوهلة الأولى لأصحاب الأنظار القاصرة الغافلين عن سرِّها وحكمتها.

وأيضـاً لا يخفى على البصير ما تتركه هذه الآثار الشرعية على اقتصاد المجتمع الإسلامي فإنّها تحثّ على الاستزادة من الرزق والإنتاج.

فمفادهـا أنّ الإنسان له رزق قسَمـه له الله تعالى إذا طلبه بنفسه فإنّه سيستوفيه بأكمله ويكون تحت ملكه وفي حوزته، بينما إذا آجر نفسه فإنّ أجرته ستكون محدّدة بحـدٍّ لا تتجـاوزه مهما اجتهد وأتعب نفسه والباقي لصاحـب العمل، فيكون بذلك قد حظـر علـى نفسه قسماً من الـرزق المقسوم له فيما لو كان مستقـلاًّ في عمله، فإذا انفلـت من عقال الإجارة لغيره وطلب الرزق فإنّه سيصله كلّ المقسوم له، أي مقدار الأجرة والجزء الآخر الّذي كان يفوِّته على نفسه فيما لو كان أجيراً.

- فعن إمامنا الصادق عليه السلام: «**من آجر نفسه فقد حظر على نفسه الرزق**»[1].

- وفي رواية أخرى: «**وكيف لا يحظره؟! وما أصاب فيه فهو لربّه الّذي آجره**»[2].

- وعـن عمّـار الساباطيّ: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «**الرجـل يتّجر فإن هو آجر نفسه أُعطي ما يُصيب في تجارته**».

فقـال عليه السلام: «**لا يؤاجر نفسه ولكن يستـرزق الله عزّ وجلّ ويتّجر، فإنّه إذا آجر نفسه حظر على نفسه الرزق**»[3].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٩٠.

(٢) م.ن.

(٣) راجع: م.ن.



هل الدعاء مشروط بالتوبة ؟

السـؤال: ندعـو بكلّ هذه الأدعية ومع ذلك لا يُستجاب لنـا، ومع هذا تقول الملائكة أيضاً: لماذا لا تدعون؟

الجـواب: لأنّ شرط إجابة الدعاء هو التوبة، لذا تقول الملائكة: لماذا لا تأتون بهذا المشروط «الدعاء» مع شرطه «التوبة» حتّى يُستجاب لكم؟ ولماذا لا تدعون دعاء التائب ولا تأتون بالدعاء مع التوبة؟

لكـن طبعاً هنالك فرق بين أن نقول ونحن في حالـة التمرّد والعصيان: «**لا نتوب ولكـن أعطنـا كلّ ما نُريد**» لأنّ هذا خلاف العبودية، وبين أن نقول: «**اللهمّ إنّي تائب توبـة غيـر حقيقية، ولكن لا طاقة لي على البـلاء أيضاً، وأريد منك أن ترفع ذلك البـلاء عنّـي، لقـد أذنبنا ونحن نقـرّ ونعترف بذنوبنـا، ولكن لا يتأتّى منّـا التوبة، وتوبتنا غير حقيقية وغير دائمية**».

فمن المسلّم وجود فرق بين المنكر والمتمرّد وبين المقرّ والمعترف والمنقاد؛ لأنّ مثـل هذه الطلبات والإجابات والعطايا يتفضّل بها الله تعالى علينا، وهي مختلفة عن بـاب الشرط والمشروط، وعن مشروطية الدعاء بالتوبة، وذلك بأن نقول: اللهمّ إنّنا غير مستوجبين للرحمة، ونقرّ بأنّنا لسنا أهلاً لها، ولكنّك أنت أهل لذلك وإنّك «**تجد من تعذّبه غيري، ولا أجد من يرحمني سواك**»(١).

مدرسة الشيخ بهجت قدس سره، ج١، ص ٧٨.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٥، ص٢٣٦- إقبال الأعمال، ص ٣٦٦.

8

الإنفاق في سبيل الله

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

الشخصيَّة الإيمانيَّة

إنّ الشخصيــة الإيمانية الّتي تستحقّ أن يُطلق عليهــا عنوان المؤمن الصادق لها مقوّمــات لا تكتمل إلا بها مجتمعة مكتملة، ومع نقصــان بعضها ينتقص بمقداره من صدق تلك الشخصية ومن صدق الإيمان.

وهذه المقوّمات أربعة:«**الحكمة، والشجاعة، والعفّة، والعدالة**».

وقد أشارت الآية الكريمة إليها:

فالإيمــان باللّه ورسوله وعدم الارتياب تعبير عن اليقين، واليقين إنّما هو من قوّة العقل ومنتهى الحكمة.

والجهــاد بالمال هو السخاء وهــو مصداق أبرز من مصاديــق ضبط قوّة الشهوة وإخضاعها إلى حكم العقل والشرع وهو العفّة.

والجهاد بالنفس هو الشجاعة وهو ضبط قوّة الغضب تحت سلطان العقل والشرع.

وبنفس الجهاد بالمال والنفس فعلاً في الخارج تكون قد تحقّقت قوّة العدالة الّتي هي القوّة الرابعة والمقوّم الرابع، فإذا كانت الحكمة هي إشارة العقل الّتي قد ينصاع إليها الإنسان وقد يُخالفها، فإنّ العدالة هي تلك القوّة الّتي تدفع الإنسان نحو الجري العمليّ والتطبيق الفعليّ الخارجيّ لما أشارت إليه الحكمة نظرياً.

الإنفاق في سبيل الله من مقوّمات الشخصيّة الإيمانيّة

فظهر أنّ من مقوّمات الشخصية المؤمنة الصادقة الجهاد بالمال أي الإنفاق في سبيل اللّه والسخاء، فإذاً، لا بُدّ أن نعلم أنّه لا يكون المؤمن الحقيقيّ بخيلاً، حتّى وإن اكتملت فيه خصال محدّدة.

والآية الكريمة فيها كلمة «إنّما» الّتي تفيد الحصر، وتعني حصر الإيمان الصادق بمن يمتلك في شخصيته تلك الخصال المذكورة.

قــال العلامة الطباطبائيّ في الميزان: «.. **فيـه قصر المؤمنين في الّذين آمنوا بـالله ورسوله..الـخ، فتفيـد تعريفهـم بما ذكر مـن الأوصاف تعريفاً جامعـاً مانعاً فمن اتّصف بها مؤمن حقّاً، كما أنّ من فقد شيئاً منها ليس بمؤمن حقّاً**»[1].

وكذلك شهادة الآية في آخرها بأنّهم هم الصادقون، تعني أنّه يوجد في المؤمنين مــن هو صـــادق الإيمان ومن هو ليس بصادق، فمن افتقد صفة من الصفات الأربعة، ومنهــا الجهــاد بالمــال فإنّه يكــون مندرجاً فــي الصنــف الآخر مــن المؤمنين غير الصادقين في إيمانهم.

فعلى أيّ حال يجب أن يتنبّه المؤمن لهذا الأمر جيّداً ويُدخل في حساباته الإيمانية مسألــة الإنفاق والبذل في سبيل الله تعالــى، تماماً كما يأخذ في حسبانه إذا أراد أن يترقّى ويتقرّب من خالقه صلاة الليل، أو الحجّ، أو العمرة، أو زيارة الأئمّة عليهم السلام ...

فكذلــك إذا لم يكن معــوّداً نفسه على الإنفاق والبذل فليفعل وليبدأ بتدريب نفسه على هذا الركن المهمّ من أركان الإيمان.

يقول العلامة الطباطبائيّ: «**إذا قام السالك بتطهير يده ولسانه وسائر أعضائه وجوارحـه، وأدّبهـا بتمـام معنى الكلمة بـالأدب الإلهيّ، ولكنّه لـم يجاهد نفسه في مقـام الإنفـاق وبـذل الأموال، فلـن يكتمل سلوكـه الإيمانيّ بل يسيـر إلى النقص، ويكون ذلك النقص مانعاً من الارتقاء إلى المقام الأعلى...**»[2].

فنحــن نعرف أنّ الإيمــان درجات، وهناك إيمان مكتمــل وإيمان ناقص، فالذي لا يكــون سخيّــاً بماله يكــون في درجــة متدنيّة غيــر مكتملة من الإيمــان. وقد ورد

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١٨، ص ٣٢٩.

(٢) رسالة لبّ اللباب، السيّد الطهراني، ص ٩٠.

عـن النبيّ ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانـاً أحسنكم خلقاً**»[١]. فهذا الكلام النورانيّ مـن الرسول الأكـرم ﷺ يوضّح أنّ الإيمان منــه مكتمل ومنــه منتقص، وهو على درجـات، وكلّمـا كان خلـق المؤمـن أحسـن كان إيمانـه أكمـل.

وعن عبد العزيز القراطيسيّ قال: «**قال لي أبو عبد الله** عليه السلام: **يا عبد العزيز إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الاثنيـن لصاحـب الواحد لست على شيء حتّى ينتهي إلـى العاشرة، فلا تُسقط من هو دونك فيُسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبره**»[٢].

فإذاً، الّذي لا يكون باذلاً لماله في سبيل الله لا يكون في درجة مرتفعة من درجات الإيمان عند خالقه عزّ وجلّ.

لا يكون المؤمن شحيحاً

نعـم، قـد وردت بعض الروايات بلســان أنّه لا يكون المؤمن شحيحــاً، فعن الإمام الباقـر عليه السلام: «**لا يؤمن رجل فيه الشحّ والحسد والجبن، ولا يكون المؤمن جباناً ولا حريصاً ولا شحيحاً**»[٣].

- وفـي روايـة عن أمير المؤمنيـن عليه السلام: «**ثلاث لا تكـون في مؤمـن: لا يكون جباناً، ولا حريصاً، ولا شحيحاً**»[٤].

وقـد يكون المقصـود من هذه الروايات الّتي تنفي الإيمــان عن الشحيح الّذي هو البخيل، أنّ الشحّ بالفعل يُخرج الإنسان عن الإيمان من خلال إدخاله في المخالفات الشرعية المتعدّدة ويجعله فاسقاً أو جاحداً، فمثلاً:

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ١٢، ص ١٥٦.

(٢) م.ن، ج ٦١، ص ١٦٢.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٣٠١.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي، ص ٢١٣.

قد يمنع حقّ الله في ماله الواجب عليه.

وقد يكون واجباً عليه صلة رحمه بالمال فلا يفعل.

وقد يمنع نفقة الوالدين والأهل من زوجة وأولاد وهي واجبة.

أو قد يترك الحجّ مع الاستطاعة...الخ

لذلك نجد أمير المؤمنين عليه السلام يُنكر على من جعل حال الظالم أسوأ من حال البخيل، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول: إنّ الشحيح أعذر من الظالم.

فقال له عليه السلام: «**كذبت، إنّ الظالم قد يتوب ويستغفر ويردّ الظلامة على أهلها، والشحيح إذا شحّ منع الزكاة، والصدقة، وصلة الرحم، وقرى الضيف، والنفقة في سبيل الله، وأبواب البرّ، وحرام على الجنّة أن يدخلها شحيح**»[١].

البخل قد يُسبّب عاقبة السوء

فهذا الإنسان وإن كان مسلماً في الظاهر إلا أنّه ارتكب ببخله العديد من الكبائر الّتي تجعله في خطر شديد من خروج سكينة الإيمان من قلبه ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٢].

وقد يقوده بخله إلى خاتمة النفاق والسوء كما حدث لثعلبة بن حاطب، ولقارون... وغيرهما الكثيرين ممّن أهلكه الشحّ وأطفأ شعلة إيمانه البخل.

وبالتالي وإن كان مؤمناً بالظاهر إلا أنّ الإيمان القلبّي يُسلب منه لشحّه بالمال وعدم امتثاله للتكليف الإلهيّ بالبذل.

نستجير بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٤٤.

(٢) سورة الروم، الآية: ١٠.

فقـد ورد أنّ ثعلبـة كان فقيراً فعاهـد الله لئن آتاني من فضلـه لأصّدقنّ ولأكوننّ مـن الصالحيـن، فأعطاه الله مالاً كثيـراً ببركة دعاء النبـيّ ﷺ، إلا أنّه بخل وشحّ وتولّى، ولم يؤدّ ما فُرض عليه من زكاة في ماله، واعترض على حكم الزكاة بأنّه مثل العُشر الّذي كان يؤخَذ كضريبة بغير حقّ، ŷوَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَŶ[1].

فإلامَ أدّى به شحّه؟

إلـى النفـاق وخاتمـة السـوء ŷ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَŶ[2].

كيف نتخلّص من البخل؟

يقول الله تعالى: ŷوَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ Ŷ[3].

«الشـحُّ» مرضـ وبيل ابتليت به النفوس البشرية لا بُدّ مـن التخلّص منه والقضاء عليـه، وعند إتمام المهمة، فالوسام مـن ربّ العالمين. عزّ شأنه وجلّ ثناؤه. الفلاح الإلهيّ ŷوَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَŶ[4].

فأنت عند الله ساعتئذٍ من المفلحين.

فليسـ الشاهد لك عبـداً مثلك يُخطـئ ويُصيب، بل الشهادة مـن الخالق تبارك وتعالى.

والقضـاء علـى البخل يكـون باكتساب صفة الكـرم. وحبُّ البـذل إنّما يكون من خـلال معاودة الإنفـاق مرّة بعد أخرى فتسكن النفس بعـد ذلك ويذهب عنها خوف

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧٥ـ ٧٦.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٧٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

الفقر، وتطرد تسويـلات الشيطان من داخلها، فإنّ الشيطان يخوِّف الناس بالفقر: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾[1] كمـا يقول تعالى، وخاصة بعد أن يلمس أنّ ما يُنفقه يخلف الله عليه مثله، ولعلّه مضاعَفاً في الدنيا قبل الآخرة: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[2].

ومن أيقن الخلف جادت يده بالعطيّة

وأيضـاً من الأمـور المهمّة الّتي تجعل الإنسـان محبّاً للبذل ومبتعـداً عن البخل، الإصغـاء بالقلـب لأخبار الشريعـة المقدّسة، ليعلم من خلالها كـم هي راقية مرتبة الإنسـان السخيّ سواء في الدنيا أم الآخـرة، وبالمقابل كم هو مبغوض بعيد عن الله تعالـى ومذموم في الدنيا والآخرة الإنسان البخيـل الشحيح، وإليك غيضاً من فيض هذه الروايات المقدّسة.

أخبار مدح السخاء والبذل وذمّ البخل

وقد وردت الأخبار الكثيرة في مدح السخاء وذمّ البخل:

- عـن النبـيّ ﷺ أنّه قال: «**السخاء شجرة في الجنّـة، أغصانها في الدنيا، من تعلّـق بغصـن من أغصانها قادته إلى الجنّة. والبخل شجرة في النار، أغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها قادته إلى النار**»[3].

- وقال الإمام عليّ عليه السلام: «**الجنّة دار الاسخياء**»، وقال: «**السخيّ قريب من الله وقريـب مـن الجنّة وقريب من الناس بعيد من النـار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنّة بعيد من الناس قريب من النار**»[4].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٣) زبدة البيان، المحقق الأردبيلي، ص ٣٢٤.

(٤) م.ن.

- وعـن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام: «**السخيّ الحسن الخلق في كنف الله لا يتخلّى منه حتّى يدخله الجنّة، وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً ولا وصيّاً إلا سخيّاً، وما كان أحد من الصالحين إلا سخيّاً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتّى مضى**»[1].

- وعنـه عليه السلام قـال: «**أتى رجل النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّ الناس أفضلهم إيمانا؟ فقال: أبسطهم كفّاً**»[2].

- وعنه عليه السلام قال لبعض جلسائه: «**ألا أخبرك بشيء يُقرّب من الله ويُقرّب من الجنّة ويُباعد من النار؟**» فقال: بلى، فقال:

«**عليك بالسخاء فإنّ الله خلق خلقاً برحمته لرحمته فجعلهم للمعروف أهلاً، وللخير موضعاً وللناس وجهاً يسعى إليهم، لكي يحيوهم كما يُحيي المطر الأرض المجدبة، أولئك هم المؤمنون الآمنون يوم القيامة**»[3].

- وعـن عليّ بن إبراهيـم رفعه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «**لا تقتل السامريّ فإنّه سخيّ**».

- وعـن جميـل بن درّاج عنـه عليه السلام: «**خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البرّ بالإخوان والسعي في حوائجهم، وإنّ البار بالإخوان ليحبّه الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران ودخول الجنان، يا جميل أخبر بهذا غرر أصحابك قلت: جعلت فداك من غرر أصحابي؟ قال: البارّون بالإخوان في العسر واليسر**»[4].

- وعـن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثة يستغفر لهم السماوات والأرض، والملائكة، والليل والنهار: العلماء والمتعلّمون والأسخياء.**

وثلاثة لا تُردّ دعوتهم: المريض، والتائب، والسخيّ.

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، ج ٢١، ص ٥٤٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج ٤، ص ٤٠.

(٣) زبدة البيان، المحقق الأردبيلي، ص ٣٢٥.

(٤) م. ن، ص ٣٢٦.

وثلاثة لا تمسّهم النار: المرأة المطيعة لزوجها، والولد البارّ لوالديه، والسخي يحسن خلقه»[١].

قصص في السخاء

١ - مع الراعي الّذي أضافه

خرج الحسن عليه السلام إلى سفر فأضلّ طريقه ليلاً، فمرّ براعي غنم فنزل عنده فألطفه وبات عنده، فلمّا أصبح دلّه على الطريق، فقال له الحسن عليه السلام:

«**إنّي ماضٍ إلى ضيعتي ثمّ أعود إلى المدينة**» ووقّت له وقتاً وقال له:

«**تأتيني به**».

فلمّا جاء الوقت شُغل الحسن عليه السلام بشيء من أموره عند قدوم المدينة، فجاء الراعي وكان عبداً لرجل من أهل المدينة فصار إلى الحسين عليه السلام وهو يظنّه الحسن عليه السلام، فقال: أنا العبد الّذي بتّ عندي ليلة كذا، ووعدتني أن أصير إليك في هذا الوقت، وأراه علامات.

عرف الحسين عليه السلام أنّه الحسن، فقال الحسين عليه السلام له:

«**لمن أنت يا غلام**»؟

فقال: لفلان.

فقال عليه السلام: «**كم غنمك**»؟

قال: ثلاثمائة، فأرسل إلى الرجل فرغّبه حتّى باعه الغنم والعبد فأعتقه، ووهب له الغنم مكافأة لما صنع مع أخيه، وقال عليه السلام: «**إنّ الّذي بات عندك أخي وقد كافأتك بفعلك معه**»[٢].

---

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيّد البروجردي، ج ١٦، ص ١٨٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي، ج١، ص ١٥٣.

٢- الحسين عليه السلام مع الأعرابيّ

عن الحسن البصريّ: إنّ الحسين عليه السلام ذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستانه، وكان في ذلك البستان غلام للحسين عليه السلام اسمه صافي، فلمّا قرب من البستان رأى الغلام قاعداً يأكل الخبز، فجلس الحسين عليه السلام عند بعض النخل بحيث لا يراه الغلام، فنظر إليه الحسين عليه السلام وهو يرفع الرغيف فيرمي نصفه إلى الكلب ويأكل نصفه، فتعجّب الحسين عليه السلام من فعل الغلام، فلمّا فرغ من الأكل قال: الحمد للّه ربّ العالمين، اللهم اغفر لي واغفر لسيّدي كما باركت لأبويه برحمتك يا أرحم الراحمين.

فقام الحسين عليه السلام وقال: «**يا صافي**»، فقام الغلام فزعاً وقال:

يا سيّدي وسيّد المؤمنين إلى يوم القيامة، إنّي ما رأيتك فاعف عنّي.

فقال الحسين عليه السلام: «**اجعلني في حلٍّ يا صافي، لأنّي دخلت بستانك بغير إذنك**»

فقال صافي: بفضلك يا سيّدي وكرمك وسؤددك تقول هذا.

فقال الحسين عليه السلام: «**إنّي رأيتك ترمي نصف الرغيف إلى الكلب تأكل نصفه، فما معنى ذلك**»؟

فقال الغلام: إنّ هذا الكلب نظر إليّ وأنا آكل فاستحييت منه، وهو كلبك يحرس بستانك وأنا عبدك نأكل رزقك معاً، فبكى الحسين عليه السلام وقال:

«**إن كان كذلك فأنت عتيق للّه تعالى ووهبت لك ألفي دينار**».

فقال الغلام: إن أعتقتني فأنا أُريد القيام ببستانك.

فقال الحسين عليه السلام: «**إنّ الكريم ينبغي له أن يصدق قوله بالفعل، أوَ ما قلت لك اجعلني في حلٍّ فقد دخلت بستانك بغير إذنك، فصدقت قولي ووهبت البستان وما فيه لك، فاجعل أصحابي الّذين جاؤوا معي أضيافاً وأكرمهم من أجلي أكرمك**

الله تعالى يوم القيامة وبارك لك في حسن خلقك وأدبك».

فقال الغلام: إن وهبتني بستانك فإنّي قد سبّلته لأصحابك وشيعتك[١].

٣. سخاء أبي ذرّ رضي الله عنه

أضاف أبو ذرّ الغفاريّ ضيفاً، فقال للضيف: إنّي مشغول، وإنّ لي إبلاً، فاخرج وأتني بخيرها. فذهب فجاء بناقة مهزولة، فقال له أبو ذرّ: خنتني بهذه.

فقال: وجدت خير الإبل فحلها، فذكرت يوم حاجتكم إليه.

فقال أبو ذرّ: إنّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي مع أنّ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[٢] وقال أبو ذرّ: في المال ثلاثة شركاء: القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرّها من هلك أو موت، والوارث ينتظرك أن تضع رأسك، ثمّ يستاقها، وأنت ذميم، وأنت الثالث: فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكن، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وإنّ هذا الجمل كان مما أحبّ من مالي، فأحببت أن أقدّمه لنفسي[٣].

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الشريفي، ص ٦٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٣٤٣.

مطالعة

- وفد أعرابيّ المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فَدُلَّ على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بأزائه وأنشأ:

لم يخب الآن من رجاك
ومن حرّك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد
أبوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الّذي كان من أوائلكم
كانت علينا الجحيم منطبقة

قال: فسلّم الحسين عليه السلام وقال: «**يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء**»؟

قال: نعم، أربعة آلاف دينار.

فقال عليه السلام: «**هاتها قد جاء من هو أحقّ بها منّا**»، ثمّ نزع برديه ولفّ الدنانير فيها وأخرج يده من شقّ الباب حياء من الأعرابيّ، وأنشأ:

خذها فإنّي إليك معتذر
واعلم بأنّي عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا
أمست سماناً عليك مندفقة
لكنّ ريب الزمان ذو غير
والكفّ منّي قليلة النفقة.

قال: فأخذها الأعرابيّ وبكى فقال عليه السلام له: «**لعلّك استقللت ما أعطيناك**».

قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك[١].

---

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الشريفي، ص٦٢٣.

9

التأسّي بالقدوة الصالحة وبالأسوة الحسنة

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

التأسّي أمر فطريٌّ في الإنسان

الأسوة هي القدوة، والتأسّي هو الاقتداء، وهو أمر فطريٌّ يميل إليه الإنسان ويبحث عنه تلقائياً، فهو يميل إلى أن يكون أمامه نموذج حيّ يقتدي به يُجسّد المفاهيم ويأخذ المواقف ويتبنّى القرارات ويجري عملياً على طبقها، بحسب ظروفها ومقتضياتها لفظاً، وعملاً، وموقفاً.

فمنذ الصغر تجد الطفل الصغير ينظر إلى أبيه ويحاول تقليده وكذلك الفتاة تحاول تقليد أمها، وذلك واضح في تصرّفات شتّى تظهر منذ السنوات الأولى لا تخفى على أحد.

وطبعاً هذه الأسوة قد تكون أسوة حسنة وقد تكون أسوة سيئة، فالإنسان وإن كان يطلب التأسّي بالشيء الحسن بحسب نظره ورؤيته، إلا أنّه قد يضلّ الطريق ويشتبه عليه الأمر، فيتوهّم ما هو سيّئ أنّه حسن وما هو شرّ أنّه خير، فتكون الأسوة في الواقع أسوة سيئة وليست أسوة حسنة.

الأسوة نظريّة وعمليّة

والأسوة نظريّة وعمليّة، فالنظريّة هي المبادئ والقوانين والسنن الّتي يتعلّمها الإنسان ويتبنّاها كمعتقدات وقناعات وهذا مهمّ، والأهمّ هو أن يكون هنالك شخص تتجسَّد فيه تلك المبادئ والقيم وتتحرّك معه في كلّ مواقفه، وهذا هو الأسوة العملية الّتي يراها الناس أمامهم تُجسّد النظرية عملاً وسلوكاً، وهي أبلغ وأدعى للتأسّي والاقتداء.

فالأسـوة العمليـة الحسنة هـي الحقّ متحـرّكاً ومتمثّـلاً في شخصيـة متكاملة، متحرّكـة أمامـك ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فالنبيّ أسـوة عمليّة حسنة بتزكيةٍ وشهادة ربّانية.

وقـد ورد في وصفه ﷺ أنّه: «**كان خُلُقـه القـرآن**»[١]، أي أنّه جسّد القرآن الكريم عملياً في عمله وسلوكه حتّى أنّك إذا أردت أن ترى القرآن الكريم في قيمه ومفاهيمه وأخلاقه متجسّداً ومتحـرّكاً أمامك تنظر إليه بعينيك فانظر إلى شخص النبي ﷺ في سلوكه وكلّ حركاته وسكناته، فرسول الله ﷺ أسوة عمليّة حسنة في كلّ لفظ أو فعل أو موقف.

فهـو ﷺ أسوة في الكلام ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[٢] فكلامه معصوم عن الخطأ والزلل، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٣].

وهو أسوة ﷺ في الموقف والعمل ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[٤].

وهـو أسوة وحجّة حتّـى في سكوته وتقريره، لذلك كانت العبـارة الأصولية: «**قول المعصوم وفعله وتقريره حجّة**».

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف قربه من رسول الله ﷺ: «**وكنت أتبعه اتّباع الفصيل أثر أمه يرفع لي كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به**»[٥].

وقـد قـال النبيّ ﷺ في حقّ أميـر المؤمنين عليه السلام: «**عليّ مع الحـقّ والحقّ مع عليّ**»[٦]. فعليٌّ إذاً عندما تراه ترى الحقّ متحرّكاً معه، لا يفترقان، فعليّ أسوة عملية حسنة.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٨٠٠.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢.
(٥) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج ٢، ص ١٥٧.
(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ١٠، ص ٤٣٢.

وفـي الرواية عن الإمام السجّاد عليه السلام: «**نحن الصـراط المستقيم**»[١] فكلّ أهل البيـت عليهم السلام هم أسوة عملية حسنة للعباد، فـإذا بصرتهم رأيت الاستقامة بعينها، فهم الصراط المستقيم وهم الميزان، ففي الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**السلام على ميزان الأعمال**»[٢].

وقد أكّد أهل البيت عليهم السلام على شيعتهم أن يكونوا أسوة وقدوة عملية لا فقط قولية تنظيرية عندما أوصوهم بتلك الوصايا:

- فعن الإمام عليّ عليه السلام: «..**ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد**»[٣].
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم**»[٤].
- وعنه عليه السلام: «**كونوا لنا دعاة صامتين**»[٥].
- وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**كونوا زيناً ولا تكونوا شيناً**»[٦].
- وعـن الإمام العسكري عليه السلام: «**إنّ أحدكم إذا صدق فـي حديثه وأدّى الأمانة قيل هذا شيعيّ فيسرّني ذلك**»[٧]، إلى غير ذلك.

الفرق بين الأنبياء والحكماء الفلاسفة

ولـو سألنـا عن السبب فـي كون الأنبياء أكثـر تأثيراً في بني البشـر من الحكماء والفلاسفـة، لربّمـا كان الجواب هو أنّ الحكماء كانوا منظّريـن فحسب ولم يُعايشوا النـاس ويُخالطوهم على الغالب، بخـلاف الأنبياء فإنّهم كانـوا يتحرّكون مع النـاس ويعيشـون معهم فـي جميع شؤونهم حتّى قال بعضهم: ما لهـذا الرسول يأكل الطعام

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٦٠٩.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٩٧، ص ٢٨٧.
(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٣، ص ٧٠.
(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٧٧.
(٥) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١، ص ١١٦.
(٦) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ١٥، ص ٢٤٥.
(٧) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٣٧٢.

ويمشي في الأسواق. ففي السلم والحرب وفي الرخاء والبلاء، وفي السرّاء والضرّاء، بـل وفي جميع شؤون الحياة كان النبيّ يتحرّك مع الناس ليعيش معهم كلّ المفارقات والمفاصـل في الحياة والاختلافات والنزاعات ليبيّن لهـم ميدانياً ومن قلب الواقعة والميـدان، أين الحقّ من الباطل، وأين الصواب مـن الخطأ، وأين العلم من الجهل، وأيـن السداد من الاشتباه، يُعطـي لكلّ واقعة حكمها، ولربما دفـع أثماناً لوجوده في قلـب الحدث، ولكـن كان ذلك يصبّ في خانة التضحيات فـي سبيل الرسالة. ففيما ينقـل عـن نبيّ الله نوح عليه السلام أنّ قومه كانوا يتعمّدون عدم الاستماع إليه وكان يصل بهم التعسّف والتعدّي على حرمته المقدّسة أنّهم يضربونه حتّى يُغشى عليه ومع ذلك عندمـا كان يستفيـق كان يأتيهم ويتابع مسيرته الرسالية بينهم. والله تعالى يبيّن أنّ إحـد الأمور الّتي كانوا يعجبون منها أنّ النبـيّ كيف يكون رجلاً منهم، قال تعالى في سيـاق الكلام عن نبيّ الله نـوح عليه السلام: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١].

فهذا يُبيّن شدّة لصوق الأنبياء الكرام بالمرسَل إليهم وقربهم منهم.

بخلاف الفلاسفة والحكماء فإنّهم في الأعمّ الأغلب منظّرون للحقائق التجريدية عـن بُعد، ولم يلتحموا بالواقـع المعاش للناس ليكونوا متحرّكيـن عملياً أمامهم لكي يؤثّروا فيهم من الناحية التربوية، فلم يكونوا أسوة عملية مرآية لكلّ أحد، ولهذا كان الأنبياء مؤثّرين في الناس على صعيد التهذيب والتربية والتأديب والتزكية.

فالإنسان يتأثّر بعملٍ أو موقفٍ أمامه من أسوة عملية أكثر من تأثّره بسيلٍ من الكلمات، ولهذا يؤكّد القرآن الكريم على أن يكون الرسول من جنس المرسَل إليهم فيردّ إشكال من قال إنّ النبيّ ينبغي أن يكون مَلَكاً من الملائكة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[٢]. فكيف يتأسّى

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩.

الناس بمَلَك؟ فإنّهم سيقولون هو مَلَك يمتلك من الطاقات ما لا نمتلكه فكيف يكون قدوة لنا؟ فلا بُدّ أن يكون رجلاً مماثلاً في التكوين وفي الشعور والظروف حتّى يقول المتأسّي هو مثلي ففعل كذا ويُمكن لي أن أقتفي أثره وأمشي على خطاه وأقتدي به.

السرّ في أهميّة الأسوة

قد يسأل سائل ما الحاجة للأسوة والقدوة؟ فنقول:

فضلاً عمّا ذكرنا آنفاً من كون التأسّي أمراً مرتكزاً في أعماق النفس الإنسانية فإنّه يوجد حاجة ملحّة لوجود الأسوة وللتأسّي بها، وذلك للدور الكبير الّذي تلعبه في طريق الوصول إلى الكمال المنشود للنفس الإنسانية وتزكيتها وتهذيبها، وهذه بعض الأمور المهمّة الّتي يُساهم فيها التأسّي:

١- **الأسوة توفّر على طالب الحقّ عناء البحث** والتمحيص والمرور بمرحلة الشكّ ووضع الاحتمالات والموازنة فيما بينها، ثمّ الاجتهاد والتعب والبحث عمّا يقوّي احتمالاً على آخر، فتُسهّل فرص الوصول إلى المبتغى من التهذيب والتكامل لأنّها تختزل من الأوّل الخيارات في خيار واحد متعيّن لا ثاني له وهو خيار الأسوة العملية الحسنة.

٢- **الأسوة تضمن النتيجة السديدة** وعدم الخطأ في الاحتمال الصائب، بينما على فرض البحث الشخصيّ فإنّ احتمال الخطأ والاشتباه يبقى متأتياً وماثلاً.

٣- **الأسوة تُسرّع الوصول إلى الغاية** والهدف المراد، وهذا مترتّب على ما ذكرنا، حيث تُطوى تلك المقدّمات الّتي يحتاجها الباحث للوصول إلى الحقّ.

٤- **الأسوة تقوّي مقتضى الصلاح في الأفراد**، فإنّ وجود الأسوة العملية المرئية يقوّي الإذعان بإمكان تجسُّد القيم النظرية في أشخاص واقعية، وهذا يُبعد تصوّر أنّ المبادئ والقيم تبقى مخطوطة بالمداد على القرطاس مع تعذُّر تجسيدها في الواقع.

أهميّة الأسوة في حياة كلّ إنسان، واختيار الأسوة الحسنة، ونبذ الأسوة السيئة:

لا بُدّ من التأسّي، ولكن كما ألمحنا سابقاً فإنّ الأسوة قد تكون حسنة وقد تكون سيّئة.

فميل الإنسان بفطرته إلى التأسّي يدفعه إلى أن يتّخذ أسوة، فإن لم تكن حسنة فإنها ستكون سيّئة، وإن لم تكن صالحة فستكون فاسدة، فإذاً عملية التأسّي ستكون مفروغاً منها إجمالاً، إلا أنّ المهمّ هو اختيار الأسوة الحسنة بعد تمييزها عن السيّئة، وعند حصول الاشتباه بين الحسنة والسيّئة هناك تقع الكارثة.

ولا بُدّ من بيان نظرة الشريعة المقدّسة للأمور الّتي تُصبح رموزاً يُعرف بها الكفّار، فإنّها تنهى عن تعاطيها وتُبالغ في النهي حتّى ولو كانت كلمة تُقال.

فمثلاً كلمة «راعنا» وهي تتضمّن معنى ليس فيه عيب ولا قبح إلا أنّ اليهود قد جعلوا لها معنى آخر فصارت تتضمّن معنى الاستهزاء بالنبيّ ﷺ فنهى اللّه تعالى المسلمين عن التلفّظ بها وأمر باستبدالها بكلمة «انظرنا». فحتّى كلمة لم يرض اللّه تعالى باستعمالها من قِبَل المسلمين لمّا تحوّلت إلى لفظ متعارف عليه لدى الكفّار فيه نيل من الحرمات، فكيف بالأعمال والمنتجات المروَّجة وكيف بالقناعات والاعتقادات والأعراف والسلوكيات، وكيف بالتقليد الأعمى لكلّ ما يقوم به الغرب الكافر؟

فإنّه من الأولى أن يكون الإسلام ناهياً المؤمنين عن التشبُّه بالكفّار في مواردها.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٦.

قال الطبرسيّ في مجمع البيان

«المعنى: لما قدّم سبحانه نهي اليهود عن السحر، عقّبه بالنهي عن إطلاق هذه اللفظة، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾. كان المسلمون يقولون: يا رسول الله ! راعنا أي: استمع منّا. فحرّفت اليهود هذه اللفظة، فقالوا: يا محمد، ! راعنا، وهم يلحدون إلى الرعونة، يريدون به النقيصة والوقيعة. فلما عوتبوا قالوا: نقول كما يقول المسلمون، فنهى الله عن ذلك بقوله ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾. وقال قتادة: إنّها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الإستهزاء. وقال عطا: هي كلمة كانت الأنصار تقولها في الجاهلية، فنهوا عنها في الإسلام.. وقال الباقر عليه السلام: هذه الكلمة سبٌّ بالعبرانية إليه كانوا يذهبون..ومعنى انظرنا: يحتمل وجوهاً أحدها: انتظرنا نفهم ونتبيّن ما تعلّمنا، والآخر: فقّهنا وبيّن لنا يا محمّد، والثالث: أقبل علينا. ويجوز أن يكون معناه: انظر إلينا»[1].

نقول: ولأهميّة الأسوة في الحياة وشدّة تأثيرها على المجتمع والحياة فإنّ أعداء الإسلام قد عمدوا إلى استبدال الأسوة الحسنة بالأسوة السيّئة وابتكروا أشياء توافق الأهواء وروّجوا لها على أنّها نماذج الكمال والجمال، وبذلوا قصارى الجهد ليُقنعوا أمّتنا بذلك من خلال أساليب الدعاية المختلفة، وهذا طبعاً يجعل فرص الاشتباه في اختيار الأسوة الحسنة كبيرة، وبالفعل نجد الكثير من شباب أمّتنا الإسلامية الّتي هي خير أمّة أخرجت للناس تسير نحو الأسوة السيّئة.

وهذا الاختيار الخاطئ للأسوة تعمل أجهزةٌ منظّمة جهنميّة لتسويقه بين شعوبنا الإسلامية وبثّه فيهم وخاصة بين شبابهم الّذين يمثّلون عصب الأمّة وقوّتها وطاقتها، وإظهاره بمظاهر المثل العليا، بعناوين متعدِّدة كالجمال والأناقة، والتجدُّد باتّباع الموديلات الّتي لا تقف عند حدّ، والبطولات الوهمية، ويقيمون المسابقات على مدار أيّام السنة بعناوين مختلفة رياضية وغيرها، فيُصبح البطل هو من يُسدِّد الكرة لتدخل

(١) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٣٣٥.

فـي المرمى لا من يدافع عن كرامته وشرفه، وعزّة أمّته، وقيمها، وذلك لإلهاء شعوبنا عن القضايا الكبرى والوصول بذلك إلى استعبادهم بعد استنزاف مقدّراتهم الّتي مَنَّ اللّه بها عليهم.

وقـد نجح أعداء الدِّين والإنسانية في تسويق هـذه الأسوة السيّئة الضالّة المضِلّة كأمـور مهمّـة تجري المنافسة علـى حيازتها ويكون الفرد اللامـع فيها هو من يُنظر إليـه كأنموذج تنشدّ إليه الأنظار وترمقه بطرفها متمنية بشوق ولهفة الوصول إلى ما وصل ونيل ما نال، وتقف الناس إجلالاً له وتتجمهر عندما يحضر، ويأتون إليه بأشياء ليتبرّكـوا مـن تواقيعه عليها، وتُجعـل صوره علـى المنتجات الاستهلاكيـة كالألبسة وشبهها وعلى الدفاتر المدرسية والكتـب، ويروِّجون له حتّى وأنت تسير في سيارتك تراه في الإعلانات والملصقات..

والكلام في ذلك يطول، وما كان مُعاشاً كفتنا رؤيته بالعين مؤونة وصفه والحديث عن تفاصيله..

أيّها الشباب..

إنّ واجبكـم الشرعـيّ والإنسانـيّ أن تعـوا وتتنبّهـوا لمخاطـر هـذه المخطّطات الشيطانيـة الّتـي يُمارسها أعـداء اللّه وأعداء القيـم الّذين لا يؤمنـون إلا بجشعهم وحبّهـم الأعمى لاستعباد الشعوب وإذلالهم لكـي يكونوا عبيداً لهم بأسماء ابتدعوها وجمّلوها وزخرفوها كالحرية والديمقراطية..

وبأساليـب ترويجيـة لأمور ليـس وراءها مضمـون ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[1]، ليتلهّـى أفـراد الأمّة عن القيم الحقّة والمطالبـة بهـا وتُستنزف طاقاتهم فـي قضايا ليست هـي بقضايا وإنّمـا هي أشبه بخيال وانعكاس في المرايا، وأقرب ما تكون من ألعاب الصبيان. فتنبّهوا أيّها الشبّان

(١) سورة النجم، الآية: ٢٣.

ولا تكونــوا في الأمّــة الغربان الّتي تنعــق بانحلالها ودمارها، بل تبنّــوا قيمها وكونوا مدافعيــن عنها وعــن بنيانها الشامخ الّــذي شيّد صرحَه المؤمنــون بعرقهم، وعمّده الشهــداء بدمائهم، وغذّتــه آلام الأسرى وآهاتهم في زنازينهــم، وقوّاه صبر الثكالى ودموع اليتامى وأنّات الجرحى..

اهجــروا التقليد والتأسّي بكلّ مــا يكون له نوع ارتباط بالغرب الكافر وارجعوا الى مبادئنــا ومفاهيمنا..ارجعوا إلى الأسوة الحسنة.. ارجعــوا إلى الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين..

ارجعوا إلى محمّد وآل بيته الأطهار عليهم السلام..

فــإنّ ربّكــم وهو أولى بكــم قد اختار لكم أســوة حسنة، أفتختــارون غير ما اختار لكم اللّه ربّ العالمين، حيث قال عزّ من قائل: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾[١]؟

بعض نماذج التأسّي السيّئ في مجتمعنا

هــذه بعض النماذج لأمــور استفحلت في أجوائنــا وبين شبابنــا وفتياتنا إلى حدٍّ كبيــر، وقُلنا بعض النماذج لأنّ التأسّي السيّئ قد يكــون مستشرياً في مجتمعاتنا في مناحٍ متعدِّدة وبأشكال وأساليب متنوّعة إلى درجة قد يصعب استقصاء نماذجها:

١ـ طريقة اللباس والتجديد للمقتنيات بحسب الموديلات

أوّلاً: يستلــزم الاستهلاك المذهل الّذي يقــوّي اقتصاد الغرب المستعمر وشركاتهم المصنّعة فهم المصمّمون والمنتجون ونحــن المستهلكون لمنتجاتهم والمنفقون لبضائعهــم. ولا خير في أمّة مستهلكة تُتلف وتُجدّد، أو حتّى تُجدّد من دون إتلاف بــل فقط جريــاً وهرولة وراء الموديــلات الّتي هي فكرة ماكــرة لترويج وبيع أكبر كمية ممكنة ممّا تُنتجه معاملهم ومصانعهم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ثانيـاً: الخروج عن الكثيـر من عاداتنا ومبادئنا في اللباس وطريقته وشكله ولونه، وتطبيق ما صمّمه هؤلاء.

فالنبـيّ ﷺ علّمنـا الأمـور المستحبّـة الحميدة فيمـا يتعلّق باللباس، والألوان، وطريقـة اللّبس، ومقدار مـا يُنفق عليه، وكيفيته بأن يكـون محتشماً، إلى غير ذلك، وبالمقابل تجد اللّباس غير المحتشم للفتيات والشباب، بل وغير العقلائيّ كأن يكون البنطـال ممزّقاً مـن أماكن محدّدة مثـلاً، أو قد زال صبغه من بعض الأماكن دون بعضه الآخر، أو يُظهر قسماً من الظهر، أو طويلاً يجعل جزءاً من أسفله ملتقطاً لما يمرّ به من أوساخ الأرض..

أو يجعـل الشعـر بطريقـة مقزّزة تُعيـد الإنسان إلـى العصر الحجـريّ والقرون الوسطى. والرسول الأسوة ﷺ يقول: «**من اتّخذ شعراً فليحسن ولايته أو ليجزّه**»[١]. وقـال لأحدهم لم يمتشط ما مضمونه: أما عنـدك ممشاط! مستنكراً عليه أن يخرج إلى المجتمع من دون أن يُمشّط شعر رأسه.

٢- التأسّي بالرياضيين وما يُسمّى بالفنّانين

وهـذا لشدّة ما يروّج لـه إعلامياً يستلب الألباب عند شريحـة عظمى من أبنائنا وبناتنا بل وحتى قسم من الكبار للأسف.

فترى فلاناً يُقلّد من يتّخذه المثل الأعلى له من الرياضيين أو ما يُسمّى بالفنّانين في لباسه وفي طريقة مشيه وكلامه وطريقة قصّه لشعره..الخ

ويُتلـف الوقت والمال على تشجيع الفنّان، واقتناء صوره وما يتعلّق به ويرمز إليه، ويزهو بنفسه فخراً عندما يشتري سترة لا تُساوي فلسين بمبلغٍ من المال فقط لأنّها عليهـا اسمه أو تحمـل صورته، ويدخل في المنازعـات والخصومات لأجله. هل تجد أيّها العاقل تسخيفاً للعقول وتسفيهاً للأحلام أكثر من ذلك؟

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٢، ص ١٢٩.

٣- التأسّي بالعادات الاجتماعية أفراحاً وأتراحاً

طريقة العرس أو مناسبات الفرح وتفصيلاتها..

وهذا أيضاً لا يقلّ عن أضرابه ممّا ذكرنا، فإنّك تقضي عجباً من إنسان يعدّ نفسه في المجتمع من المثقفين، أو من المحسوبين على التديّن والمتدينين، يُصبح فجأة في موقف من المواقف الاجتماعية مرهوناً لبروتوكولات وعادات لا يُدرى مصدرها قد تعارف جملة من الناس على فعلها وتطبيقها حرفاً بحرف، وإن لم يقم بها بل وإن أخلّ بحلقة من حلقاتها فإنّه يخاف أن يُصبّ الويل والثبور عليه من الآخرين بأنّ عرسه أو مناسبته لم تكن بالمستوى المطلوب، فيجد نفسه سجين قضبان التأسّي الفارغ سواء أقتنع نفسه به أم أقدم عليه خوفاً من دون اقتناع.

أليس الحريّ بالمؤمن الّذي يحترم مبادئه وقيمه أن ييمّم وجهه شطر كتاب الله وسنّة رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فيستخرج الدرر منها ويجري على مقتضاها الّذي هو أصل الفطرة الّتي فطر الله الناس عليها، فيكتسب البركة ويجني رضا الله تعالى ويكون قد احترم نفسه وتقاليده وقيمه ولم يُقلّد تقليداً أعمى ولم يذهب إلى أسوة سيّئة؟

٤- التأسّي بالمناسبات والأعياد

إنّ ديننا دين القيم والشفافية والوجدانيات والعواطف المقدّسة، دين الرقّة والأحاسيس الّتي لا تتنافى مع حكم العقل والشرع. وقد جُعلت مناسبات للتعبير عن هذه المشاعر الإنسانية الراقية الّتي ترقى فيها المعاني والمضامين السامية، فليس عندنا نقص ولا جدب ولا جفاف في مناسباتنا المعبِّرة الّتي تربطنا بالمعاني المقدّسة حتّى نستمدّ ونسترفد ونستورد من الآخرين مناسبات وتعبيرات.

فلماذا نُقلّد بمناسبة قد أسموها باسم يُعبِّر عن الحبّ «**عيد العشّاق**»؟ أليس قد

ورد عـن المعصوميـن عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «**وهل الدِّين إلا الحبّ**»[١]، وكـم هي مناسباتنا كثيرة الّتي يُمكن أن نُعبّر فيها عن حبّنا العفيف تجاه من نحبّ.

وليس الحبّ الّذي في عقيدتنا إلا العفاف والطهر بين أطراف تجمعهم علاقات شرعية بخلاف ما وضع من قبل الآخرين، فإنّهم لم يُقيموا وزناً للعقد الشرعيّ فشمل الحبّ عندهم العلاقة غير الشرعية، نستجير بالله. فكيف تتبنّى أيّها المؤمن هكذا مناسبة موضوعة من هكذا أناس لتُعبِّر فيها عن حبّك الّذي هو الطهر بعينه؟

وكذلك فيما يُسمّى بعيد رأس السنة أو أعياد الميلاد، فما الخلفية المقدّسة للسنة الميلادية كي أتخذ ليلة رأس السنة ليلة متميّزة، أحسب لها الحساب قبل مدّة من الزمن؟ هل فقط لأنّ الكثيرين في العالَم يُحيونها فأنا عليّ أن لا أكون غيرهم؟!

هذا المنطق عجيب. فلو أنّ لهؤلاء عيداً للفاحشة هل كنت لتقول أنا عليّ أن لا أنفرد عنهم! هذا منطق الغوغاء من الناس الّذين أعاروا تفكيرهم للآخرين ولم يحترموا إنسانيتهم.

وبالفعل إنّ رأس السنة هو عيد الفواحش يكثر فيه الزنا وشرب الخمر ولعلّ أكثر ليلة يُعصى فيها الله تعالى هي تلك الليلة!

أخيراً نقول: إنّ الّذي يقبل شيئاً من دون تفكير فقد بخس الشيء الّذي أكرمه الله به وفضّله لأجله على جميع المخلوقات وهو التفكير والتعقُّل، فكما أنّ ادّعاء شيء بلا دليل قبيح وليس له قيمة، فكذلك أخذ شيء وتبنّيه من دون دليل فهو تسخيف للعقل وللإنسان.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، ص ٨٠.



استكبار إبليس وعاقبة السوء

لقـد كان إبليس عالماً، بل من علماء الطـراز الأوّل، ومع أنّه أراد أن يتحدّث بنحو منطقي جدّاً فقد قال مخاطباً ربّه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[(١)].

وقـد اعترضـت الملائكة أيضـاً علـى خلـق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكنّهم سألـوا وسمعوا الجواب، قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟[(٢)].

وقال لهم الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

ولم يوجد من يقول ثمّة لإبليس: لماذا قلت بنحو الجزم: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾؟

فهـل رأيت ضـوءك الظاهريّ فقلت: مـن المحال أن يكون سـواد الطين وظلامه أشرف منّي؟

والآن أيضاً نرى كثيـراً من الناس يعترضون على الدِّين والأمور الدينية ويتخيَّلون أنّ أحـداً لا يستطيـع أن يُجيب عـن شبهاتهم وأسئلتهم الدينيـة والعقائدية، دون أن يطلبوا الإجابة من أهلها.

لقد طلب الشيطان من الله تبارك وتعالى أنّه إنّ أعفاه من السجود لآدم فسيعبده بـدل ذلك عبادة لم يعبده بمثلها أحد. ولكنّ الله تبارك وتعالى قال له: «**إنّي أحبّ أن أطاع من حيث أريد**»[(٤)].

لقـد آل الشيطان إلى هذه العاقبـة وسوء المصير بعد عبادة استغرقت ستة آلاف سنة[(٥)]، فهل يمكننا الاغترار بأنفسنا؟! نعوذ بالله تعالى من ذلك.

مدرسة الشيخ بهجت قدّس سرّه، ج١، ص ٩٧.

---

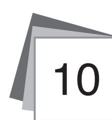
(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٦٢، ج ١١، ص ١٤٥، ج ٦٠، ص ٢٥٠، قصص الأنبياء، الراوندي: ص ٤٣.

(٥) نهج البلاغة، ص ٢٨٧، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٣١، بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢١٤، ج ١٤، ص ٤٦٥.



جنّة الخُلد

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

ŷ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ Ŷ[١].

(١) سورة النحل، الآية: ٣١.

تمهيد

إذا أردنا أن نتكلّم عن الجنّة لا بُدَّ أن يكون الكلام على صعيدين:

الأوّل: الكلام عن ضوابط وقواعد عامّة ثابتة ترتبط بمعنى السعادة الحقيقية.

الثاني: الكلام عن أوصاف تفصيلية لنِعَم أهل الجنّة الّتي ترجع إلى هذه الكليّات الّتي يُقتصر طبعاً فيها على النقل الّذي ورد في الكتاب العزيز وكلام الأنبياء النورانيّ وعلى رأسهم خاتمهم نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته الأبرار عليهم السلام.

ولنتكلّم الآن في المبحث الأوّل، ونفرد للبحث الثاني كلاماً مستقلّاً فيما سيأتي إن شاء اللّه.

بيان معنى السعادة الحقيقية

- لا بُدَّ أوّلاً من ذكر مقدّمة مهمّة فطريّة، وهي من الحقائق الّتي ينبغي لكلِّ مؤمن أن يُدركها مع أنّه يستشعرها ويُصدّقها بمجرد تصوّرها، وهي:

إنّ كلّ إنسان يبحث في قرارة نفسه عن السعادة الحقيقية، ولكنّه قد يخطئها فيتوهّم بادئ الأمر أنّها في المحسوسات، وذلك لأنّه يبدأ بالإحساس باللذّة بوسيلة المحسوسات، ولكن بعد أن يُدرك ويقوم بسير باطنيّ عقليّ في طريق طلبه للحقيقة فإنّه سيشعر بأنّ اللذّات المحسوسة ليست هي السعادة الحقيقية بل هي لذّات عابرة منقطعة وربّما تركت بعد حصولها اكتئاباً وإحباطاً في نفس الشخص، ويذعن بأنّ السعادة الحقيقية تنبع من النفس ولا بُدَّ لها من مقوّمات يجمعها: الكمال المطلق وعدم النقصان في أيّ حاجة، والدوام من غير انقطاع ولا فقدان، والطمأنينة والأمن وعدم الخوف من أيّ شيء بما فيه خوف التصرُّم للنعم والانقطاع في زمن ما.

وإذا نظرت إلى الدنيا عرفت أنّ هذه المقوّمات للسعادة الحقيقية لا تتحقّق فيها، وبمــا أنّ الإنسان يطلبها فطريّاً فلا بُدَّ أن تكـون «أي السعادة الحقيقية» متحقِّقة في صقعٍ آخر وعالم مختلف عن عالمنا الّذي نعيش فيه وهو الجنّة في الدار الآخرة.

فاللـذّات في الجنّة تختلـف عن لذّات الدنيا من حيثيات متعدِّدة، إذا التفتنا إليها وضممنا بعضها إلى بعض سيتولّد عندنا نعيم الجنّة الّذي لا يُمكن أن يكون في الدنيا لأنّــه مخالف لمقتضى خلقتها ومدى قابليّتها له، حيث إنّها إذا اشتملت عليها انقلبت من حياة دنيوية إلى سنخٍ آخر من الحياة، وهو عكس الفرض.

فمنغِّصات الدنيا ترجع إلى فقدان الكمال في الأشياء:

فالجسد إذا فَقَدَ صحّته وكماله صار مريضاً.

والإنسان إذا افتقد ما يحتاجه في شؤونه كان فقيراً.

وإذا افتقد العلم كان جاهلاً.

وإذا افتقـد نعمة «**مـن ولدٍ أو مقـام أو أيّ كمال وجوديّ**» صــار محبطاً متحسّراً حزيناً كئيباً.

وإذا كان فــي النعمة خاف فقدانها و زوالها، وخوف الفقدان بنفسه هو ألم يُباين السعادة.

وإذا نظر إلى نعمة الحياة وجد عمره فيها متصرّماً معدوداً منتقصاً يوماً بعد يومٍ وساعةً بعد ساعة.

فعلــى افتراضــ أنّ الأمور اتّسقت له كلّها وهو فرض شبــه محال فإنّ فكرة الموت والفناء ومفارقة النعيم الدنيويّ عندما تراوده تسلبه رقاده وتنغّص عليه معيشته.

فــإذا أردّت أن تتصــوّر الجنّة، إذاً فعليك أن تتصوّر حيــاة لا نقص فيها، ولا ألم، ولا خــوف مــن الفقدان، ولا موت، ولا مرض، ولا فقــر، ولا خوف على النفس من عدوٍّ أو خصــمٍ، ولا حــزن، ولا انقطاع، ولا كلل، ولا ملل، بــل خلود في النعيم واللذّة الّتي لا

مقايسة بينها وبين لذّات الدنيا، بلا انقطاع، ولا اضمحلال، ولا نوع من أنواع النقص بـأيّ نحو من الأنحاء، بـل يتجدّد بحسب طلب الفرد وما يُريد ويشتهي، وزيادة دائمة «**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**».

وهـذا بخـلاف ما نجده فـي الدنيا: فـإنّ الشخص فيها لا يجمـع كلّ ما يُريد من كمالات، فهذا الفقدان يُحدث له الألم والبؤس والشقاء وفقدان السكن والاطمئنان.

والكمالات الّتي يستجمعها هي:

إمّا مشوبة بالمنغِّصات.

وإمّـا في حدِّ ذاتهـا تتضمّن تقبُّل الاكتمـال أكثر، فيكون النظر إلـى الأرقى فيها تقليلاً من لذّتها.

وإن كانت مكتملة فإنّه يبقى يساوره قلق المحافظة عليها، والخوف من زوالها.

ولـو فرض عدم وجود الخـوف من زوالها، فإنّ الخوف من مفارقتها بالموت يكون هاجس المفكِّر العاقل..

وهذا ينطبق على المال.

وعلى الجاه والمقام.

وعلى نعمة الأولاد.

وعلى الصحة.

وعلى العمر.

بل على كلّ لذّة ونعمة.... بلا استثناء.

هـذا غيـر فقـدان الأمـن علـى النفـس مـن الكائديـن والمنافريـن والخصوم والأعداء...

فكيف يهنأ الإنسان بعد عيش هذه خواصّه وهذه صفاته، باللّه عليك؟

بينمـا الحيـاة الهنيئة واللـذّة الحقيقيـة غير المشوبـة بأيّ ضـرب من ضروب النقصـ، وخوف الزوال والانقطاع والفقدان، هي الحيـاة الحقيقية واللذّة الواقعية وهي لا تكون إلا في جنّة الله تعالى في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[1]، والحيوان هي الحياة الحقيقية.

وأضـف إلى ذلك أنّ كيفية وكمّية اللذّات فـي الجنان تختلف بما لا يُمكن إدراكه، عـن الكـمّ والكيف للذّات الدنيا، وهذا ما عبّر عنه النبـيّ ﷺ: «**بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..**»

هـذه الضوابـط والكليات الّتي ينبغـي أن تهتمّ بها أفكارنا فـي تكوين نظرتنا إلى الجنّة

وطبعـاً ضمن هـذه الكليات تجد الكثيـر من الروايـات الشريفة تُبيّـن مصاديق ونمـاذج معيّنة بما يتلاءم مع الفهم الضيّـق للبشر في الحياة الدنيا، وغالباً ما تكون قاصرة عن التعبير الحقيقيّ، للقصور في القابل عن الفهم للعالم الآخر ما دمنا في هذا العالم الضيّق عالَم الطبيعة الّذي هو أضيق العوالم.

ولكـن كلّ مـا أشكل فهمه علينا نردّه إلى هذه الضوابـط والأصول فينحلّ ما أبهم منه ولو بالتصوّر الإجماليّ.

وقد بيّن سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام هذه الضوابط بخطبةٍ له بليغة تبلغ المقاصد وتبيّن المطالب بأبلغ ما يصل إليه راغب ويطلبه طالب.

فتعالوا إلى هذا الكلام النورانيّ من الحضرة العلوّية الّذي يُبيّن فيه كلّيات السعادة الحقيقية الّتي موطنها الفارد الجنّة لا غير، قال عليه السلام في وصفه للجنّة:

«**الجنّة الّتي أعدّها الله تعالى للمؤمنين خطّافة لأبصار الناظرين فيها درجات**

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

متفاضلات، ومنازل متعاليات، لا يبيد نعيمها ولا يضمحلّ حبورها ولا ينقطع سرورها ولا يظعن مقيمها ولا يهرم خالدها ولا ييؤس ساكنها، آمن سكّانها من الموت فلا يخافون، صفا لهم العيش، ودامت لهم النعمة في أنهارٍ من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كلّ الثمرات ومغفرة من ربّهم. على فرش موزونة وأزواج مطهّرة وحور عين كأنّهن اللؤلؤ المكنون، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[1].

من صفات الجنّة

-لا يبيد نعيمها، ولا يضمحّل حبورها، ولا ينقطع سرورها

الأمر الأوّل الّذي يُنغِّص على الإنسان سعادته في الدنيا الإبادة والاضمحلال والفقدان والانقطاع للنعيم. وهذا من أكبر المنغِّصات للسعادة، فالإنسان مهما كان وبأيّ نعيم حلّ ولو جمع كلّ لذّات الدنيا ماذا يفعل عندما يأتي أجله، وميعاد مفارقتها، كما ورد في الرواية «**كان أشدّ لحسرته عند فراقها**»، لذلك عبّر عن الموت «**بهادم اللذّات**».

وهذا في الجنّة لا وجود له فإنّ النعيم والحبور والسرور لا تصرّم لها ولا زوال ولا اضمحلال.

- ولا يظعن مقيمها

فالإنسان إذا كان مقيماً في قصر منيف عدّة أيّام فإنّه يكون في لذّة ولكن حينما يتذكّر أنّه سيتركه بعد أيّام فإنّه ستتنغّص لذّته، وعندما يأتي وقت إخراجه منه يكون يوم تأسّف وألم يذهب باللذّة الّتي حصّلها في الأيّام الخالية.

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٣٠.

بينما في الجنّة لا يظعن المقيم أي لا يرتحل ولا يُفارق أبداً بل إقامته خالدة.

- ولا يهرم خالدها

والإنســان إذا بقــي بقاءً طويلاً في الدنيا فإنّ هَرَمَــه سينغّص عليه عمرَه ويُسئمُه الحياة كما عبّر بعضهم:

سئمــت تكاليــف الحيــاة ومــن يعش ثـمـانـيـن حــولاً لا أب لـك يسأم

والهرم بلوازمه يُفقد الحياة رونقها، والشهوات لذّتها..

وفي الجنّة بقاء وخلود بلا هرم وهذا من مقوِّمات السعادة الحقيقية.

– ولا يبؤس ساكنها وفي البحار/ج٨/١٦٢ «لا ييأس ساكنها»

فـلا بؤس ولا يأس في الجنّة، فإنّ البؤســ وهو الشقاء يُباين اللذّة، وكذلك اليأس أو الملل يُخالف اللذّة والسعادة.

ونحــن نجــد أنّ في الدنيا ما من لذّة إلا ويشوبها البؤس واليأس والملل، ولذلك لا مقايسة للذّات الدنيا مع لذّات الآخرة في الجنّة.

- أمن سكّانها من الموت فلا يخافون

فالإنسان كما ذكرنا لو نال ما نال في الدنيا من نِعَم وكمالات بشتّى المجالات الّتي يتمنّاهــا فإنّ فكرة الموت بمجرّد أن تنتابه فإنّها ستسيطر على لبّه وتغلب على كيانه وتُفقــده الأمن والسكينــة والطمأنينة في حياته. وهذا الخوف؛ خــوف فقدان النِّعَم، سيفقده السعادة..

هــذا في الدنيا وأمّا في الآخرة في الجنّة فــإنّ ساكنها سيكون آمناً من الموت ولا قلق عنده بل سكينة مطلقة وهذه، هي السعادة الحقيقية.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣. ٢٤.

ففـي الجنّة سـلام، والسلام من الملائكـة، ومن ربٍّ كريـم، وتحيّتهم في الجنّة سلام، وكلّ شيء فيها سلام، والسلام يقابل الشعور بعدم الأمن والقلق والخوف.

- قال ابن أبي الدنيا: حدّثني الحارث بن محمّد التميميّ عن شيخٍ، قال:

«مـرّ الإسكنـدر بمدينةٍ قد ملكها أملاك سبعة وبـادوا، فقال: هل بقي من نسل الأمـلاك الّذيـن ملكوا هذه الدنيا أحد؟ قالوا: نعم، رجل يكون في المقابر، فدعا به، فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهـم فوجـدت عظامهم وعظـام عبيدهم سـواء. فقال له: فهل لـك أن تتّبعني فأورثـك شـرف آبائـك إن كانـت لك همّة؟ قـال: إنّ همّتي لعظيمـة إن كانت بغيتي عندك، قال: وما بغيتك؟ قال: حياة لا موت فيها وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر فيه وسرور بغير مكروه.

قـال: لا، قـال: فامضِ لشأنـك ودعنـي أطلب ذلك ممّـن هو عنده -عـزّ وجلّ- ويملكه. قال الإسكندر: وهذا أحكم منّا»[1].

أبلغ البيان في وصف جنّة الرحمن

أروع مـا يُمكـن أن تسمع فـي وصف الجنّة بعـد كلام الخالق تعالى هـو من أمير المؤمنين عليه السلام، يقول عليه السلام كما في نهج البلاغة:

«فلـو رميـت ببصـر قلبـك نحو مـا يوصف لـك منها لعزفـت نفسك عـن بدائع مـا أخـرج إلـى الدنيا مـن شهواتهـا ولذّاتهـا وزخـارف مناظرها، ولذهلـت بالفكر فـي اصطفـاق أشجـار غيّبت عروقها في كثبان المسك علـى سواحل أنهارها، وفي تعليـق كبائـس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وأفنانهـا، وطلوع تلك الثمار مختلفة فـي غلـف أكمامها. تحنى من غير تكلّـف فتأتي على منيـة مجتنيها، ويطاف على نزّالهـا فـي أفنيـة قصورهـا بالأعسال المصفقـة، والخمور المروقة. قـوم لم تزل الكرامـة تتمادى بهم حتّى حلّـوا دار القرار، وأمنوا نقلة الاسفار. فلو شغلت قلبك

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٧١، ص ٣٥٥.

أيّها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقاً إليها، ولتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها. جعلنا الله وإياكم ممّن سعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته»[١].

فما أروع وما أبلغ وأبدع هذا الوصف على اختصاره، فلو دقّقت بمضمونه وخاصّة في الفقرة الأخيرة، فإنّ الإمام عليه السلام يقول لو كان عندك يقين بالفعل ووجّهت قلبك وشغلته بهمّ الوصول إلى ما أعدّ لك فيها لزهقت نفسك أي قضيت وخرجت روحك من بدنك شوقاً إلى نعيمها، ولاخترت مجاورة أهل القبور استعجالاً في نيلها والوصول إليها.

«فلو شغلت قلبك أيُّها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقاً إليها، ولتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها»

ولزهدت نفسك في كلّ لذّات الدنيا ونعيمها.

«فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذّاتها وزخارف مناظرها»

هل نستطيع أن نتصوّر أنّ أنساناً ممكن أن يموت شوقاً للجنّة؟

نعم مع اليقين وشدّة الشوق قد يصل إنسان لذلك، كما روي عن همّام.

على أيّ حال هذا يحتاج إلى دعاء لاستنارة القلب بالبصيرة وإشراقات اليقين. وقد دعا الإمام عليه السلام ونحن ندعو بدعائه:

«جعلنا الله وإيّاكم ممّن سعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته».

ما السبب في زهد أهل الدنيا بالجنّة؟!

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتعجّب من الإنسان الّذي يزهد بجنّة قد جعلها ربٌّ كريم ويُقبل على دنيا هي بمثابة جيفة.

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٢، ص ٧٥.

تُرى ما السبب في ذلك؟!

يُبيّــن عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ السبب في ذلك هو العشق للدنيا، فإنّه الداء الوبيل الّذي إذا حلّ في قلب العبد جعل بصره سقيماً وسمعه سقيماً والشهوات فيها خرقت عقله ومزّقت إدراكاتــه السليمــة الصائبة، وأماتت قلبه. والنتيجة: أنّــه سوف لا يتّعظ بموعظة ولا ينزجــر بزاجــر بل سيكون عبداً للدنيــا الّتي عشقها ولا يرى شيئــاً ولا يسمع إلا منها وعنها ولا يُقدِّر إلا من يمتلك شيئاً من فتاتها. اسمع لكلامه النوراني عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك. خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً. ثمّ أرسلت داعياً يدعو إليها. فلا الداعي أجابوا، ولا فيما رغّبت رغبوا، ولا إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا. أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبِّها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه. فهو ينظر بعينٍ غير صحيحة، ويسمع بأذنٍ غير سميعة. قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه. فهو عبد لها، ولمن في يده شيء منها. حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها. ولا يزدجر من الله بزاجر، ولا يتّعظ منه بواعظ»[١]..



اعتقادنا في الجنّة

اعتقادنا في الجنّة أنّها دار البقاء ودار السلامة، لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفّة ولا زمانة ولا غمّ ولا همّ ولا حاجة ولا فقر، وأنّها دار الغناء والسعادة، ودار المقامة والكرامة، لا يمسّ أهلها فيها نصب ولا لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وهم فيها خالدون، وأنّها دارٌ أهلها جيران الله وأولياؤه وأحبّاؤه

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج ١، ص ٢١١.

وأهل كرامته، وهم أنواع على مراتب: منهم المتنعّمون بتقديس اللّه وتسبيحه وتكبيره فـي جملة ملائكتـه، ومنهم المتنعّمون بأنـواع المآكل والمشـارب والفواكه والأرائك وحور العين، واستخـدام الولدان المخلّدين، والجلوس على النمارق والزرابي ولباس السندس والحرير، كلٌّ منهم إنّما يتلذّذ بما يشتهي ويريد حسب ما تعلّقت عليه همّته، ويُعطـى مـا عبد اللّه من أجلـه. وقال الصــادق عليه السلام: إنّ النـاس يعبـدون اللّه على ثلاثــة أصناف: صنف منهم يعبدونه رجاء ثوابـه فتلك عبادة الخدّام، وصنف منهم يعبدونـه خوفاً من ناره فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حبّاً له فتلك عبادة الكرام[1].

قال الشيخ المفيد رحمه اللّه:

الجنّة دار النعيم لا يلحق من دخلها نصبٌ ولا يلحقهم فيها لغوبٌ، جعلها اللّه داراً لمـن عرفه وعبده، ونعيمها دائم لا انقطاع لـه، والساكنون فيها على أضرب: فمنهم مـن أخلص للّه تعالى فذلك الّذي يدخلهـا على أمان من عـذاب اللّه تعالى، ومنهم مـن خلط عملـه الصالح بأعمال سيّئة كان يسوِّف منها التوبـة فاخترمته المنيّة قبل ذلـك، فلحقه ضرب من العقاب في عاجله وآجله، أو في عاجله، دون آجله، ثمّ سكن الجنّة بعد عفو أو عقاب، ومنهم من يتفضّل عليه بغير عمل سلف منه في الدنيا وهم الولدان المخلّدون الّذين جعل اللّه تعالى تصرّفهم لحوائج أهل الجنّة ثواباً للعاملين، وليسـ في تصرّفهم مشـاقّ عليهم و لا كلفة، لأنّهم مطبوعـون إذ ذاك على المسارّة بتصرّفهـم فـي حوائج أهل الجنّــة، وثواب أهل الجنّــة الابتذال بالمـآكل والمشارب والمناظر والمناكح وما تُدركه حواسّهم ممّا يطبعون على الميل إليه ويدركون مرادهم بالظفر به[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٨، ص ٢٠٠.

(٢) م.ن. ص ٢٠١.

11

من نعيم الجنّـة

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١]

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

بعضّ من نعيم أهل الجنّة

عـن النبيّ الأكرم ﷺ: «**قـال الله تعالى: أعددت لعبـادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعـت ولا خطـر علـى قلب بشـر فاقرؤوا إن شئتم فـلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين**»[1].

لقـد اتّضح مـن البحث السابق أنّنا لا نقدر على إحصــاء عُشر عشير ما أعدّ الله تعالــى من نعيمٍ لأهل الجنّة من المؤمنين، ولكن هذا لا يُقصينا عن الدخول في ذكر بعضـ النماذج من اللذائذ الّتـي ورد ذكرها والإشارة إليها في الآثار الشرعية، وهذا ما خصّصنا البحث لأجله فنقول مستعينين بالله تعالى:

١ - الجمال والقوّة والشباب الدائم في الجنّة

- قـال ابـن سلام للنبــيّ ﷺ: فصف لــي من يدخل الجنّــة، قال:«**يا ابـن سلام يدخلونهـا أبنـاء ثلاثيـن وبنـات ثلاثيـن سنة فـي حُسْن يوسـف وطـول آدم وخُلُق محمّد**»[2].

٢ - لذائذ الآخرة لا تُقاس بلذائذ الدنيا

ثمّ المقاييس المختلفة بين ما في الدنيا وما في الآخرة بحيث يستحيل المقايسة، ممّا يُبيّن حقارة هذه الدنيا وعظمة الدار الآخرة:

- قال ابن سلام: فصف لي بعض نعيم أهل الجنّة.

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٤٣٨.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٧، ص ٢٥٧.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

- «**لو أنّ رجلاً من أهل الجنّة يبصق في البحار المالحة لعذبت...!**

- **ولـو نـزل من ذؤابته من السماء إلى الأرض بلغ ضوءها كضوء الشمس و نور القمر.**

- **وموضـع سـوط أحدكم فـي الجنّة خير من الدنيا وما فيهـا وقرأ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور.**

- **إنّ أدنـى مـن فـي الجنّـة - وليـس فـي الجنّة دنيّ- لـو نزل به جميـع من في الأرض لأوسعهم طعاماً ولا ينقص منه شيء**»[1].

- **وعـن أبـي بصيـر قال: قلـت لأبي عبـد الله** عليه السلام: **جُعلت فداك يـا بن رسول الله شوّقنـي، فقـال: «يا أبـا محمد إنّ الجنّة توجد ريحها من مسيرة ألف عام، وإن أدنى أهل الجنّة منزلاً لو نزل به الثقلان الجنّ والإنس لوسعهم طعاماً وشراباً ولا ينقص ممّا عنده شيء**»[2].

٣- شجرة طوبى والظلّ الممدود

قال تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.

- **فعـن النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم **قـال: «إنّ فـي الجنّة شجـرة يسير الراكـبُ الجـوادَ المضمرَ السريع مائة عام لا يقطعها، وفي أخرى يسير الراكب في ظلّها مائة سنة»!**[3]

- **وعنه** صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلّها مائة عام ما يقطعها فاقرؤوا إن شئتم** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[4].

- **وعـن أمير المؤمنين** عليه السلام: «**وطوبـى شجرة في الجنّة أصلهـا في دار النبيّ**

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٥٧.

(٢) م.ن، ج ٨، ص ١٢٠.

(٣) م.ن، ج ٦٦، ص ٣٦٦.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني، ج٦، ص٤٣٤.

محمّـد ﷺ وليس من مؤمـن إلّا وفي داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شـيء إلا أتـاه بـه ذلك ولـو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائـة عام ما خرج منه ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً»[١].

٤- السماع في الجنّة

- عـن أبي الحسن عليه السلام قال: «**من نزّه نفسه عن الغنـاء فإنّ في الجنّة شجرة يأمـر الله عـزّ وجـلّ الريـاح أن تُحرِّكها فيسمـع لها صوتاً لم يسمـع بمثله ومن لم يتنزّه عنه لم يسمعه**»[٢].

٥- الحور والزوجات في الجنّة

روى العياشيّ بالإسناد إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جُعلت فداك أخبرني عن المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنّة يتزوّج أحدهما بالآخر؟

فقـال: «**يـا أبا محمد إنّ الله حكم عدل، إن كان هو أفضـل منها خُيّر هو فإن اختارهـا كانـت مـن أزواجه، وإن كانـت هي خيراً منـه خيّرها فـإن اختارته كان زوجـاً لهـا**»[٣].

- وفـي قوله تعالـى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قيل: «**أي نساء خيّرات الأخلاق حسان الوجـوه، لسـن بذربـات، ولا زفرات، ولا نخـرات، ولا متطلّعـات، ولا متسوّمات، ولا متسلّطات، ولا طمّاحات، ولا طوّافات في الطرق، ولا يغرن، ولا يؤذين**»[٤].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٢) م.ن، ج ٦، ص ٤٣٤.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨، ص ١٠٥.

(٤) م، ن، ص ١٠٧. ذرابة اللسان: حدّته، والزفرة: التنفّس الّذي معه صوت، والزفر: أوّل صوت الحمار. والنخير: مدّ الصوت فـي الخيشوم، وامرأة منخـار: تنخر... كأنّها مجنونة. والمتسوّمات: لعلّه من السوم بمعنى البيع أي: بيّاعات في الأسواق. والطماحات: الناظرات إلى من فوقهن أو إلى بيوت الناس.

- وروي أنّ نســاء أهـل الجنّة تأخذ بعضهنّ بأيـدي بعضهن ويتغنّين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها:

«نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام».

- عـن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: **«قالت أم سلمـة رضـي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بأبي أنت وأمي المرأة يكون لها زوجان، فيموتون ويدخلون الجنّة لأيّهما تكون؟**

فقـال صلى الله عليه وآله وسلم: يـا أمّ سلمـة تُخيّـر أحسنهمـا خُلُقاً وخيرهمـا لأهله، يـا أمّ سلمة إنّ حُسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة»[1].

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

جعلت فداك من أيّ شيء خُلقن الحور العين؟

قال عليه السلام: **«من الجنّة...»**.

قلت: جعلت فداك ألهنّ كلام يتكلّمن به في الجنّة؟

قال عليه السلام: **«نعم كلام يتكلّمن به لم يسمع الخلائق بمثله»**.

قلت: ما هو؟

قـال عليه السلام: **«يقلـن: نحن الخالـدات فلا نمـوت، ونحـن الناعمات فـلا نبأس، ونحـن المقيمـات فلا نظعن، ونحـن الراضيات فلا نسخط، طوبـى لمن خُلق لنا، وطوبى لمن خُلقنا له، نحن اللواتي لو عُلّق إحدانا في جوٍّ السماء لأغنى نورنا عن الشمس والقمر لو أنّ قرن إحدانا عُلّق في جوٍّ السماء لأغشى نوره الأبصار»**[2].

وفـي روايـة عن النبـيّ الأكـرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«وإنّ المؤمن ليغشـاه شعاع نـور وهو على**

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨، ص ١١٩.

(٢) م.ن، ج ٨، ص ١٢١.

أريكتـه ويقـول لخدّامـه: ما هـذا الشعاع اللامع لعـلّ الجبّار لحظنـي؟ فيقول له خدّامـه: قدّوس قدّوس جلّ جلاله، بل هذه حوراء من نسائك ممّن لم تدخل بها بعـد، أشرفت عليك من خيمتها شوقاً إليك وقـد تعرّضت لك وأحبّت لقاءك، فلمّا أن رأتك متّكئاً على سريرك تبسّمت نحوك شوقاً إليك، فالشعاع الّذي رأيت والنور الّـذي غشيـك هو من بياض ثغرها وصفائه ونقائه ورقّته، فيقول ولي الله: ائذنوا لهـا فتنـزل إلـيّ، فيبتدر إليها ألف وصيـف وألف وصيفة يبشّرونهـا بذلك، فتنزل إليـه مـن خيمتهـا وعليهـا سبعون حلّـة منسوجـة بالذهـب والفضة، مكلّلـة بالدرّ والياقـوت والزبرجـد، صبغهـنّ المسـك والعنبر بألـوان مختلفة، يـرى مخ ساقها مـن وراء سبعيـن حلّـة، طولها سبعـون ذراعاً، وعرض ما بين منكبيهـا عشرة أذرع، فـإذا دنـت من وليّ الله أقبل الخدّام بصحاف الذهـب والفضة فيها الدرّ والياقوت والزبرجد، فينثرونها عليها، ثمّ يعانقها وتعانقه فلا تملّ ولا يملّ»[١].

٥- الدرجات في الجنّة

قـال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: «**لا تقولـنّ: إنّ الجنّة واحدة إنّ الله يقول: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ولا تقولنّ: درجة واحدة..إنّما تفاضل القوم بالأعمال**».

قـال: وقلت له: إنّ المؤمنَيْن يدخـلان الجنّة فيكون أحدهما أرفع مكاناً من الآخر فيشتهي أن يلقى صاحبه، قال عليه السلام:

«**مـن كان فوقـه فلـه أن يهبط ومن كان تحته لم يكن لـه أن يصعد لأنّه لا يبلغ ذلك المكان ولكنّهم إذا أحبّوا ذلك واشتهوه التقوا على الأسرّة**»[٢].

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**الدرجة في الجنّة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض**»!

(١) بحار الأنوار، العلّمة المجلسي، ج ٨، ص ١٦٠.

(٢) م. ن، ص ١٠٦.

وإنّ العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفرح، فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك المؤمن، فيقول: هذا أخي فلان كنّا نعمل جميعاً في الدنيا وقد فضّل عليّ هكذا؟

فيُقال: «إنّه كان أفضل منك عملاً، ثمّ يجعل في قلبه الرضا حتّى يرضى»[1].

- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله جلّ ثناؤه ليدخل قوماً الجنّة فيُعطيهم حتّى تنتهي أمانيهم وفوقهم قوم في الدرجات العلى، فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون: ربّنا إخواننا كنّا معهم في الدنيا فبم فضّلتهم علينا؟

فيُقال: هيهات!

إنّهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمأون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون»[2].

٦- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنّة منزلاً و في النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى منادٍ، يا أهل الجنّة أشرفوا، فيشرفون على النار وترفع لهم منازلهم في النار ثمّ يُقال لهم: هذه منازلكم الّتي لو عصيتم ربّكم دخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب، ثمّ ينادون: يا معشر أهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنّة فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم، فيُقال لهم: هذه منازلكم الّتي لو أطعتم ربّكم دخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، وهؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾»[4]

---

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ١، ص ٤٣١.

(٢) م.ن، ج ١، ص ٤٣٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠-١١.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨، ص ١٢٥.

٧- ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

عـن أبـي عبد الله عليه السلام: «إنّ لله كرامة في عباده المؤمنين في كلّ يوم جمعة، فـإذا كان يـوم الجمعـة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلّـة فينتهي إلى باب الجنّة فيقـول: استأذنـوا لـي علـى فلان، فيُقال لـه: هذا رسـول ربِّك على البـاب، فيقول لأزواجـه: أيّ شـيء تريـن عليّ أحسن؟ فيقلن: يـا سيّدنا والّـذي أباحك الجنّة ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا بعث إليك ربّك، فيتّزر بواحدة ويتعطّف بالأخرى فلا يمرّ بشيء إلّا أضاء له حتّى ينتهي إلى الموعد، فإذا اجتمعوا تجلّى لهم الربّ تبـارك و تعالـى، فإذا نظروا إليه خـرّوا سجّداً فيقول: عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هـذا يـوم سجود ولا يوم عبادة قـد رفعت عنكم المؤونة، فيقولون: يا ربّ وأيّ شيء أفضـل ممّـا أعطيتنـا؟ أعطيتنـا الجنّـة، فيقـول: لكم مثل مـا في أيديكـم سبعين ضعفـاً، فيرجـع المؤمن في كلّ جمعة بسبعين ضعفاً مثل ما في يديه، وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

قال: فيمرّ المؤمن فلا يمرّ بشيء إلّا أضاء له حتّى ينتهي إلى أزواجه فيقلن: والـذي أباحنـا الجنّـة يا سيّدنا ما رأينا قـطّ أحسن منك الساعـة، فيقول: إنّي قد نظرت بنور ربّي ثمّ قال: إنّ أزواجه لا يغرن ولا يحضن ولا يصلفن»(١)

٨ - طيور الجنّة

عـن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ في الجنّة طيوراً كالبخاتي، عليها من أنواع المواشي، تصير ما بين سماء الجنّة وأرضها، فإذا تمنّى مؤمن محبّ للنبيّ وآله عليهم السلام الأكل من شيء منها وقع ذلك بعينه بين يديه، فتناثر ريشه وانشوى وانطبخ، فأكل من جانـب منـه قديداً ومن جانب منه مشوياً بلا نار، فإذا قضى شهوته ونهمته قال: الحمـد لله ربّ العالميـن عـادت كمـا كانـت فطارت في الهـواء، وفخـرت على سائر

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨، ص ١٢٦.

طيور الجنّة تقول: من مثلي وقد أكل منّي وليّ الله عن أمر الله؟»[١].

وأورد في كتاب الدار الآخرة:

- **«أنّـه يقـف طير من طيور الجنّة على غصن مـن أغصانها فيُخاطب المؤمن بصـوت جميـل: يا ولـيّ الله أنا طير خلقني الله في الجنّة ليس في الجنّة عين إلّا شربـت منهـا ولا فاكهة إلّا أكلت منها فلحمي من هذه العيون والثمار فهل تشتهي أن تـأكل لحمـي؟ فيقول المؤمن نعم فيُلقي الطيـر نفسه أمامه ويخفق بجناحيه فتخـرج مـن كلّ ريشـة منـه قطعة لحم ولـكلّ قطعة طعم يـأكل منهـا المؤمن ثمّ يطير ثانية»**[٢].

٩- ومساكن طيبة

ورد فــي قوله تعالــى: «**ومساكن طيبة** «**عن رسول الله ﷺ قـال: قصر من لؤلؤ فـي الجنّـة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كلّ دار سبعون بيتاً مـن زمـرّدة حمراء في كلّ بيت سبعون سريراً على كلّ سرير سبعون فراشاً من كلّ لـون، علـى كلّ فراش امرأة من الحـور العين، في كلّ بيت سبعـون مائدة، على كلّ مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كلّ بيت سبعون وصيفاً ووصيفة، وقال: فيعطي الله المؤمن من القوّة في غداة واحدة أن يأتي على ذلك كلّه»**[٣].

١٠- كرامة أمير المؤمنين عليه السلام في الجنّة

-عـن أبي جعفر محمّد بن علـيّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمّا أسـري بـي إلى السماء فصرت فـي السماء الدنيا حتّى صرت فـي السماء السادسة فإذا أنا بشجرة لم أر شجرة أحسن منها ولا أكبر منها، فقلت لجبرئيل: يا حبيبي مـا هـذه الشجـرة؟ قـال: طوبى يـا حبيبي، قـال: فقلـت: ما هـذا الصـوت العالي**

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨، ص ١٤١.

(٢) الدار الآخرة، ص ١٠١.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨، ص ١٤٩.

الجهوري؟ قال: هذا صوت طوبى، قلت: أي شيء يقول؟ قال: يقول: واشوقاه إليك يا عليّ بن أبي طالب - عليه السلام »(١)

- عن ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إنّ حلقة باب الجنّة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقّت الحلقة على الصفحة طنّت وقالت: يا عليّ**»(٢).

١١- فضلات أهل الجنّة

قال ابن سلام للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**فأخبرني عن أهل الجنّة كيف يصرفون ما يأكلون من ثمارها؟**

وكيف يخرج من أجوافهم؟

قال: يا ابن سلام، ليس يخرج من أجوافهم شيء، بل عرقاً صبّاً أطيب من المسك وأزكى من العنبر، ولو أنّ عرق رجل من أهل الجنّة مزج به البحار لأسكر ما بين السماء والأرض من طيب رائحته. قال: صدقت يا محمّد»(٣).

---

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨، ص ١٥٠.

(٢) م.ن، ج ٨، ص ١٢٢.

(٣) م.ن، ج ٧٥، ص ٢٥٦.



السلام في الجنّة

هناك ثلاثة أقسام للسلام في الجنّة:

١- سلام المؤمن على المؤمن، يقول تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾[1].

فإنّ تحيّة المؤمنين بعضهم بعضاً حين يلتقون في الجنّة هو السلام.

٢- سلام الملائكة على المؤمنين: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[2]

ورد في البحار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«...فإذا استقرّت بوليّ الله منازله في الجنّة استأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّئه كرامة الله إياه، فيقول له خدّام المؤمن ووصفاؤه: مكانك فإنّ وليّ الله قد اتكأ على أرائكه، فزوجته الحوراء العيناء قد هبّت له فاصبر لوليّ الله حتّى يفرغ من شغله، قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفاؤها يحيينها، عليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد صبغن بمسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وفي رجليها نعلان من ذهب مكلّلان بالياقوت واللؤلؤ، شراكها ياقوت أحمر، فإذا أدنيت من وليّ الله وهمّ أن يقوم إليها شوقاً تقول له: يا وليّ الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب فلا تقم، أنا لك وأنت لي، فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا لا يملّها ولا تملّه، قال: فينظر إلى عنقها فإذا عليها قلادة من قصب ياقوت أحمر، وسطها لوح مكتوب: أنت يا وليّ الله حبيبي، وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي، وإليّ تناهت نفسك. ثمّ يبعث الله ألف ملك يهنّؤنه بالجنّة ويزوّجونه الحوراء، قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه فيقولون للملك الموكل بأبواب الجنان: استأذن لنا على وليّ الله فإنّ الله بعثنا مهنّئين، فيقول الملك: حتّى أقول للحاجب فيعلمه

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣ـ ٢٤.

مكانكم، قال: فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل الباب، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين جاؤوا يهنّؤن وليّ الله وقد سألوا أن أستاذن لهم عليه، فيقول له الحاجب: إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله وهو مع زوجته، قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان، فيدخل الحاجب إلى القيّم فيقول له: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين يهنّؤن وليّ الله فاستأذن لهم، فيقوم القيّم إلى الخدّام فيقول لهم: إنّ رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم «ربّ العالمين» يهنّؤن وليّ الله فأعلموه مكانهم، قال: فيُعلمون الخدّام، قال: فيؤذن لهم فيدخلون على وليّ الله وهو في الغرفة ولها ألف باب وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به، فإذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كلّ ملك بابه الّذي قد وكّل به فيدخل كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة فيبلّغونه رسالة الجبّار وذلك قول الله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ يعني من أبواب الغرفة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[1] وذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[2] يعني بذلك وليّ الله وما هو فيها من الكرامة والنعيم والملك العظيم وإنّ الملائكة من رسل الله ليستأذنون عليه فلا يدخلون عليه إلا بإذنه، فذلك الملك العظيم، والأنهار تجري من تحتها»[3].

٣- سلام ربّ العالمين تعالى على المؤمن:

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[4].

وهـذا لـو تفكّـرت فيه يا أخـي لوجدته أعظـم نعم اللّه تعالـى على الإنسـان، أن يُسلِّـم عليك ربّ العزة والجـلال، رزقنا اللّه وإياكم هذه الكرامة وجعل الجنّة لنا دار مقامة.

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة الإنسان، الآية:٢٠.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٨ ص ١٢٨

(٤) سورة يس، الآية: ٥٨.



التهجّد في الليل

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[١]

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

تمهيد

ممّا لا ريب فيه أنّ الذكر والفكر مطيّتا السالك إلى الله تعالى للوصول إلى المقصد والغاية وهي المعرفة والعبادة، فمن أوتي حظّه منهما مشفعاً بتوفيق الباري عزّ وجلّ فقد حاز قصب السبق في مضمار المعرفة والطاعة والعبادة.

ومن أخلّ بأحدهما فقد خاب وخسر بمقدار ذاك الخلل والتقصير، وقصرت همّته عن إدراك الهدف.

وممّا لاشكّ فيه أيضاً أنّ الذكر له مراتب من ناحية الأهميّة والمحبوبية والمطلوبية، فمنه الواجب الّذي لم تُرخِّص الشريعة بتركه كالصلوات اليومية، ومنه المندوب الّذي أجازت الشريعة تركه.

والواجبات هي أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله تعالى. والمستحبّ وإن جوّزت الشريعة تركه إلا أنّه يحتلّ مرتبة عظمى من الأهمية بعد إتمام الفرائض لجهة تقريب العبد من خالقه وإحداث مقتضى المحبّة له، فقد ورد في الرواية - عن حمّاد بن بشير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **قال الله عزّ وجلّ:**

... وما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبّ إلي ممّا افترضت عليه وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به وبصره الّذي يبصر به ولسانه الّذي ينطق به ويده الّتي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته»[١].

فالواجب من العبادات والأذكار مقدّم على المندوب والنوافل، حتّى ورد أنّه:

- «**لا قربة بالنوافل إذا أضّرت بالفرائض**»[٢].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم، ٣٩.

- «**إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها**»[(١)].

والمستحبّـات أيضـاً لها درجـات ومراتب من حيث مـدى أهمّيتها وقـوّة تأثيرها علـى روحيّـة السالك وعلى نسبة رقيّـه المعنويّ والمعرفيّ، ومـدى تقريبه من الغاية المنشودة وهي نيل الرضا والقرب من المعبود عزّ اسمه.

فالنوافل إذاً ينبغي للمؤمن الحكيم أن يُراعي فيها الأولويات إن أراد الوصول إلى المبتغى، فيعتني عناية شديدة بالمستحبّ الّذي ثبت تأكّده في الشريعة المقدّسة، ولا يُفرّط ولا يتهاون فيه بحال، وبعده في الدرجة المستحبّ مطلقاً.

وما لا يحتاج إلى نقاش في الشريعة المقدّسة أنّ صلاة الليل والتهجُّد والقيام فيه بالمناجاة والدعاء والذكر من آكد المستحبّات الشرعية.

وقـد تلقّـى السالكون العارفون مـن العلمـاء الربّانيين هذا التأكيد مـن الشريعة بدرجـة عالية مـن الجدّية وبذل الوسـع في الاهتمام بـه والمحافظة عليـه، وبالغوا بدورهـم بالتوصيـة به والحثّ عليه لكلّ مـن أراد أن يسلك طريـق المعرفة والطاعة والقرب من البارئ عزّ وجلّ.

وسنذكر فيما يلي ما من شأنه أن يكون حافزاً قوياً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهـو شهيد لكي يكون في عداد المتهجّدين المداومين على صلاة الليل غير التاركين لها بحال من الأحوال، وسيكون الكلام في عدّة نقاط:

أوّلاً: فضل صلاة الليل في الآيات والروايات

قبـل أن نذكر مـا لصلاة الليل والتهجّد فيه من فضل لا بُـدّ أن نُبيّن ما أشار إليه الإمـام الصادق عليه السلام من أنّ صلاة الليل لم يُحدِّد القرآن لها ثواباً كسائر الأعمال الصالحة وما لذلك من دلالة، حيث قال عليه السلام:

«**ما من عمل حسن يعمله العبد إلا وله ثواب في القرآن إلّا صلاة الليل فإنّ الله**

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، ٢٧٩.

عزّ وجلّ لم يُبيّن ثوابها لعظم خطره عنده فقال جلّ ذكره: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]»[2].

فمن المعلوم أنّه من أساليب التعظيم لأمر ما، التعبير عنه على نحو الإطلاق من دون تقييد، وفي موردنا إنّ الله تعالى لم يُحدِّد ثواب التهجُّد بجهة أو نوع خاصّ من الثواب وإنّما نفى العلم به، ليكون منطبقاً على أيّ ضرب من ضروب الثواب وهذا غاية الفضل والعظمة والثناء.

فهذا انفراد وتمييز لهذه العبادة عن غيرها من القربات إذ لم يذكر لها ثواب محدّد في القرآن الكريم كما ذكر لكلّ من الأعمال الحسنة.

يقول الإمام الخمينيّ قدّس سرّه في هذا المقام:

«ترى ما قرّة العين هذه الّتي يدّخرها الله تعالى ويُخفيها حتّى لا يعلم أحد عنها شيئاً؟

وما يُمكن أن تكون؟

فلو كانت من قبيل «أنهار جارية» و «قصور عالية» ومن نِعَم الجنّة المختلفة، لذكرها الله مثلما بيّن ما للأعمال الأخرى وأطلع الملائكة عليها.

ولكن يبدو أنّها ليست من ذلك السنخ، وأنّها أعظم من أن ينوّه بها لأحد، وخصوصاً لأحد من أهل هذه الدنيا. إنّه لا تُقارن نِعَم ذلك العالم بالنِّعَم هنا، ولا تظننّ أنّ الفردوس والجنان تُشبه بساتين الدنيا، أو ربّما أوسع وأبهى، هناك دار كرامة الله تعالى ودار ضيافته.

فكلّ هذه الدنيا لا شيء إزاء شعرة واحدة من الحور العين في الجنّة، بل ليست

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ـ١٧.

(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٤، ص ١٥٦.

شيئاً إزاء خيط من خيوط الحلل الفردوسية الّتي أُعدّت لأهل الجنّة.

ومـع كلّ هـذا الوصف لم يجعلها الله ثـواب من يؤدّي صلاة الليل، وإنّما ذكرها من باب التعظيم له.

ولكن هيهات ! نحن الضعفاء في الإيمان لسنا من أصحاب اليقين، وإلا لما كنّا نستمـرّ فـي غفلتنا، ونُعانق النوم إلى الصبـاح. ولو أنّ يقظة الليل تكشف للإنسان حقيقـة الصلاة وسرّها، لأنس بذكـر الله والتفكّر، ولجعل الليالي مركوبه للعروج إلى قربه تعالى...»[1].

أقـول: ولـو لم يكن إلا هذا لكفـى لبيان قدر هذه العبادة وعظمتهـا عند الله تعالى، كيف وقـد استفاضت الآثار الشرعيـة في مدحها والثناء عليهـا، وحثّ المؤمنين على إقامتها والمداومة عليها، وهذا بعض ما ورد بهذا الشأن:

قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾[3].

قـال إمامنا الصـادق عليه السلام في تفسيرها: «**قيام الرجل عن فراشه يريد به الله عزّ وجلّ ولا يريد غيره**»[4].

- وفي قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾[5].

قال عليه السلام: «**صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار**»[6].

فمـا أعظمهـا من فائدة لعمـل يمحو الله به بالليـل كلّ سيئة اجترحهـا العبد في

---

(١) الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قدس سره، ص ٣٢٣- ٢٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٤) الوسائل، الإسلامية، ج٥، ٢٦٩.

(٥) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٦) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٤٧٣.

النهــار، فهــذا لازمه أنّ الإنســان إذا أدام صــلاة الليل يكون قد ضمــن صفاء نفسه مــن آثار الذنوب المهلكــة، وهيّأها لتلقّي الفيوضات الإلهيــة، والتنسّمات الروحانية، فالمحافظة على طهارة النفس من آثار الذنوب هي ضمانة السعادة الأبدية.

ومــدح الله تبارك وتعالــى المؤمن الّذي يقــوم الليل ويقنت فيــه، ويسجد ويسهر فــي عبادة ربّه حذراً راجيــاً بقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[١]

فعــن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: «**آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قال** عليه السلام: «**يعني صلاة الليل**»[٢].

وقد ورد في الرواية أن مورد نزول هذه الآية هو سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد أوصاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: «**يا عليّ عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل**»[٣].

كرّرهــا ثلاثاً وهــذا أيضا غاية فــي المبالغــة والتأكيد على فعلها وعــدم التهاون بشأنها.

صلاة الليل تُفيد فائدة الاستغفار بالأسحار

صلاة الليل مشتملة على الاستغفار بالأسحار، الّذي حثّ الله عزّ وجلّ عليه، وقد ذكر في كتابه العزيز المستغفرين بالأسحار بالثناء الجميل حيث قال عزّ من قائل:

﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[٤].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣، ص ٤٤٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٤٨٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

فعن صادق أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية الكريمة، قال عليه السلام: «**المصلّين وقت السحر**»[١]. وقال عليه السلام: «**من استغفر سبعين مرّة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية**»[٢].

وقال تعالى في معرض توصيفه لأهل الجنة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣].

وعن إمامنا الصادق: قال: «**استغفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الوتر سبعين مرة**»[٤].

وعن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**من داوم على صلاة الليل والوتر واستغفر الله في كلّ وتر سبعين مرّة، ثمّ واظب على ذلك سنة كتب من المستغفرين بالأسحار**»[٥].

والمستغفرون بالأسحار لهم بركات عظيمة تعمّ وتشمل حتّى أصحاب الذنوب، حيث إنّ اللّه تعالى يدفع بهم «**المستغفرين بالأسحار**» العذاب الّذي استوجبه أهل المعاصي بمعاصيهم. اسمع إلى ما ورد عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله عزّ وجلّ إذا رأى أهل قرية قد أسرفوا في المعاصي، وفيها ثلاث نفر من المؤمنين ناداهم جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه: يا أهل معصيتي لولا ما فيكم من المؤمنين المتحابّين بجلالي العامرين بصلاتهم أرضي ومساجدي، المستغفرين بالأسحار خوفاً منّي، لأنزلت بكم عذابي ثمّ لا أبالي**»[٦].

فالذي يُصلّي الليل يكتبه اللّه تعالى من المستغفرين بالأسحار الّذين عظّمهم اللّه تعالى في كتابه العزيز، ويجني كلّ ما ترتّب من ثمرات وثواب على الاستغفار في السحر.

---

(١) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) م.ن.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧-١٨.

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج ١، ص ١٦٥.

(٥) م.ن. ج١، ص ١٦٥.

(٦) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧، ص ٣٨١.

ثانياً: من آثار صلاة الليل الأخروية

١ - تجير من عذاب القبر ومن النار

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**عليكم بصلاة الليل فما من عبد مؤمن يقوم آخر الليل فيُصلّي ثمان ركعات وركعتي الشفع وركعة الوتر، واستغفر الله في قنوته سبعين مرّة إلا أُجير من عذاب القبر ومن عذاب النار**»[١].

٢ - مباهاة اللّه به الملائكة والمغفرة له

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس في عينيه ليرضي ربه تعالى بصلاة ليله باهى الله تعالى به الملائكة، وقال: أما ترون عبدي هذا قد قام من لذيذ مضجعه لصلاة لم أفترضها عليه؟ اشهدوا أنّي قد غفرت له**»[٢].

٣ - يقوم المتهجّدون يوم القيامة ويُحاسب الناس من بعدهم

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى منادٍ ليقم الّذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً، فيقومون وهم قليلون ثمّ يُحاسب الناس من بعدهم**»[٣].

ثالثاً: آثار صلاة الليل الدنيويّة

١ - تحسين الوجه في النهار

قال الصادق عليه السلام: «**من صلّى بالليل حسن وجهه بالنهار**»[٤].

وسأله عبد الله بن سنان عن قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٥] فقال عليه السلام: «**هو السهر في الصلاة**»[٦].

---

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ٣٢٠.

(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٨، ص١٥٧.

(٣) إرشاد القلوب، الديلمي، ص٨٦.

(٤) الهداية، الشيخ الصدوق، ص ١٥٠.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٦) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٨، ص ١٥٢.

وقد سُئل عليه السلام: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجهاً؟

قال عليه السلام: «**لأنّهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره**»[١].

٢- شرف المؤمن قيام الليل

نزل جبرائيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: «**يا جبرائيل عظني فقال يا محمّد عش ما شئت فإنّك ميّت، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك ملاقيه. شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّه كفّ الأذى عن الناس**»[٢].

٣- مطردة للداء عن الأجساد

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**عليكم بصلاة الليل فإنّها... مطردة الداء عن أجسادكم**»[٣].

٤- بيوت المتهجّدين تُضيء لأهل السماء

وروى عنه الفضيل بن يسار أنّه قال: «**إنّ البيوت الّتي يُصلّى فيها بالليل بتلاوة القرآن تُضيء لأهل السماء كما تُضيء نجوم السماء لأهل الأرض**»[٤].

٥- توسّع المعيشة، وتزيد في الرزق، وتُطيل العمر

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**عليكم بصلاة الليل فما من عبدٍ مؤمن يقوم آخر الليل فيُصلّي ثمان ركعات وركعتي الشفع وركعة الوتر، واستغفر الله في قنوته سبعين مرة إلا أجير من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومُدّ له في عمره ووسّع عليه في معيشته**»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٨، ص ١٥٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٤٧١.

(٣) م.ن، ص ٤٧٢.

(٤) م.ن، ص ٤٧٣.

(٥) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ٣٢٠.

- وجاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فشكى إليه الحاجة فأفرط في الشكاية حتّى كاد أن يشكو الجوع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا هذا أتُصلّي بالليل؟ فقال الرجل: نعم، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال: «**كذب من زعم أنّه يُصلّي بالليل ويجوع بالنهار، إنّ الله تبارك وتعالى ضمن بصلاة الليل قوت النهار**»[(١)].

- وعن أبي بصير قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام الحاجة وسألته أن يُعلّمني دعاء في طلب الرزق فعلّمني دعاء ما احتجت منذ دعوت به، قال: قل في دبر صلاة الليل وأنت ساجد: «**يا خير مدعو ويا خير مسؤول ويا أوسع من أعطى ويا خير مرتجى ارزقني وأوسع عليّ من رزقك وسبِّب لي رزقاً من قبلك، إنّك على كلّ شيء قدير**»[(٢)].

٦- يدفع بالدعاء في صلاة الليل شرّ الأعداء

عن يونس بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لي جاراً من قريش من آل محرز قد نوّه باسمي وشهرني كلّما مررت به، قال: هذا الرافضيّ يحمل الأموال إلى جعفر بن محمّد، قال: فقال لي عليه السلام:

«**فادع الله عليه إذا كنت في صلاة الليل وأنت ساجد في السجدة الأخيرة من الركعتين الأوليين فاحمد الله عزّ وجلّ ومجّده وقل: اللهم إنّ فلان بن فلان قد شهرني ونوّه بي وغاظني وعرّضني للمكاره، اللهم اضربه بسهم عاجل تُشغله به عنّي اللهم وقرّب أجله واقطع أثره وعجّل ذلك يا ربّ الساعة الساعة**».

قال: فلما قدمنا الكوفة قدمنا ليلاً فسألت أهلنا عنه قلت: ما فعل فلان؟

فقالوا: هو مريض فما انقضى آخر كلامي حتّى سمعت الصياح من منزله وقالوا: قد مات[(٣)].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٤٧٤

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٥٥١.

(٣) م.ن، ص ٥١٢.

رابعاً: تحذيران

١ - يدأب الشيطان في أن يترك المؤمن قيام الليل

قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: **«ما من عبد إلا وهو يتيقّظ مرّة أو مرّتين في الليل أو مراراً فإن قام وإلا لجّ فبال الشيطان في أذنه ألا ترى أحدكم إذا كان منه ذلك قام ثقيلاً كسلانَ»**[١].

وعن الباقر عليه السلام: **«إنّ لليل شيطاناً يُقال له الرها فإذا استيقظ العبد وأراد القيام إلى الصلاة قال له: ليست بساعتك، ثمّ يستيقظ مرّة أخرى فيقول: لم يأن لك فما يزال كذلك يزيله ويحبسه حتّى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر بال في أذنيه، ثمّ انصاع يمصع بذنبه فخراً ويصيح»**[٢].

٢ - لا ينبغي للمؤمن أن يترك صلاة الليل بحال من الأحوال

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«ليس من شيعتنا من لم يصلِّ صلاة الليل»**[٣].

وهذا معناه أنّه ليس من شيعتهم المخلصين المقرّبين، وهو غاية المبالغة في الدفع نحوها والتحفيز على القيام بها وعدم تركها.

وليس من شيعتهم أيضاً من لم يعتقد فضل صلاة الليل وأنّها سنّة مؤكّدة.

فلا ينبغي لك أيّها المؤمن أن تترك صلاة الليل في حضرٍ أو سفر، في فراغٍ أو شغل، في قوّة أو ضعف، في صحّة أو مرض، في راحة أو تعب، في شتاء أو صيف، في حرٍّ أو برد، لما لهذه الشعيرة من آثار على دين المرء ودنياه، فمن أراد النجاة من عذاب القبر ودواهيه وظلمته فإنّ قيام الليل بمثابة السراج الّذي يُنير له ذاك المقام في البرزخ، ومن أراد في الدنيا الرزق واليمن والتوسعة، والعمر المديد، فإنّ

---

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص ٣٢١.

(٢) م.ن، ص ٣٢١.

(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٨، ص ١٦٢.

صلاة الليل توصله إلى ذلك كلّه، ومن أراد الآخرة والمقام المحمود فيها والنجاة من حسابها وأهوالها فعليه بصلاة الليل فإنّه واجد ذلك كلّه.

ومـن علـم ذلك كلّه وتهاون في هذه العبادة الجليلة فإنّ أدنى ما يقال فيه إنّه غير موفّـق، وقـد يُقال إنّه ضعيف اليقين والإيمان بالغيـب، فعليه أن يبذل قصارى جهده لتقويـة إيمانه ويقينه، ودفع الشيطـان عنه، ورياضة النفس الأمـارة بالسوء المحبّة للراحـة والاسترخـاء لكـي يطوّعها فتكـون تحت حكم العقـل والشرع لينـال سعادة الدارين إن شاء اللّه.

التوسعة في البدائل

وإنّ الشريعـة قد جعلت تسهيـلات كبيرة جدّاً وكثيرة من خلال جعل البدائل عند الاضطرار بل حتّى اختياراً، لكي لا يتذرّع المكلّف بشيء لترك صلاة الليل، أي لتضمن إتيان المكلّف بها والمداومة عليها دون أن يكون عنده أيّ عذر لتركها.

فصـلاة الليـل مشروعة أداءً وقضـاء وتقديماً عن وقـت الأداء. وهناك تدرُّج في الفضيلـة فـي أوقـات الأداء، فأفضل أوقاتها السحـر وكلّما اقتربت مـن الفجر كان أفضـل، ويُمكـن إقامتهـا أداءً ابتداءً من منتصـف الليل، ويُمكن تفريقهـا بأن يؤخّر ركعتي الشفع وركعة الوتر إلى السحر قبيل الفجر.

ومـن فاتته في وقـت الأداء فإنّه يُستحبّ له قضاؤها، بـل ورد في الرواية عن أبي عبـد اللّه عليه السلام قال: «**كان عليّ بن الحسيـن عليه السلام يقول: إنّي لأحبّ أن أدوم على العمل وإن قلّ، قال: قلنا: تقضي صلاة الليل بالنهار في السفر؟ قال: نعم**»[1].

- وعن صفوان الجمّال قال: **كان أبو عبد اللّه عليه السلام يُصلّي صلاة الليل بالنهار على راحلته أينما توجّهت به**[2].

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٤، ص ٩٢.

(٢) م.ن، ص ٩٢.

- وعن الإمـام الصادق عليه السلام: «قضاء صلاة الليل بعد الغداة وبعد العصر من سرّ آل محمّد المخزون»[١].

فالقضاء مشروع في الليل والنهار وفي الليل أفضل.

والقضاء أفضل من التقديم عن منتصف الليل.

ويجوز الاقتصار على الشفع والوتر.

- ويجـوز تقديمها عـن وقتها، أي أن يأتـي بها قبل منتصف الليـل، وذلك لعدّة طوائف:

- الـذي يخاف الاحتلام، والـذي يخاف أن لا يستيقـظ، والمسافر الّذي يخاف فوتها.

- وتجوز من جلوس

ولمـن لا يقدر على القيـام فله أن يُصلّي نافلة الليل من جلوس، بل له الصلاة من جلوس اختياراً، إلا أنّه يُستحبّ عندئذ أن يجعل كلّ ركعتين ركعة واحدة.

- يُشرع أداؤها راكباً

ويجوز أداؤها حتّى وإن كان ماشياً أو راكباً على دابّته، وإن لم يكن مستقبل القبلة، فيما إذا كان على طهارة:

- روى محمـد بن مسلم قال: قـال لي أبو جعفر عليه السلام: «**صلِّ صلاة الليل والوتر والركعتين في المحمل**»[٢].

- وعن صفوان الجمّال قال: «**كان أبو عبد الله** عليه السلام **يُصلّي صلاة الليل بالنهار على راحلته أينما توجهت به**»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٣، ١٨٥.

(٢) م.ن، ج ٤، ص ٩٠.

(٣) م.ن، ص ٩٢.

أخـي العزيـز هل بقـي لك من عذر بعـد معرفة عظمة ثـواب وآثار هـذه الطاعة والموهبـة الربانيـة، وبعد التعـرُّف إلى هذه التسهيـلات والخيارات المتعـدِّدة الّتي أتاحتهـا الشريعـة المقدّسة للمكلّفين كـي لا تفوت عليهم آثار هـذه الشعيرة الإلهية الراقية؟

أعد النظر وفكِّر واشحذ سيف الهمّة والإرادة واعزم على البدء فوراً بصلاة الليل واستعـن باللّه تعالى فإنّه هـادٍ لمن استهداه ومعين لمن استعانه، وما توفيقنا إلّا منه تعالى عليه توكّلنا وإليه المصير.

ولا تُحـي الليـل باللهـو واللغـو علـى التلفـاز والإنترنـت، فيضيع عمـرك وتضيع آخرتك.

خامساً: تأكيد العلماء الربّانيين على صلاة الليل، قولاً وعملاً

العلمـاء الربّانيـون أكّدوا على المداومة على صلاة الليـل وعلى عدم تركها، حتّى أنّهـم صرّحوا بـأنّ السالك لا يصل إلـى المقامات الروحانية العرفانيـة إلا إذا كان مؤدّياً لصلاة الليل، يقول المرحوم الملكيّ التبريزيّ:

وحكى لي شيخي في العلوم الحقّة: «**أنّه ما وصل أحد من طلّاب الآخرة إلى شيء من المقامات الدينيّة إلا إذا كان من المتهجّدين**».

- يقـول العلّامة الطباطبائيّ قدس سره: «**عندمـا تشرّفت بالنجف الأشرف للدراسة ونظـراً لقرابـة الرحم، كنت أحياناً أتشرّف بزيارة المرحوم القاضي وذات يوم كنت واقفـاً فـي مدرسة في النجف فمرّ المرحـوم القاضي من هناك وعندما وصل إليّ وضع يده على كتفي وقال: يا بنيّ إذا كنت تُريد الدنيا فصلِّ صلاة الليل وإذا كنت تُريد الآخرة فصلِّ صلاة الليل.**

قد أثّر فيّ هذا الكلام إلى حدّ أنّي بعد ذلك وطيلة خمس سنوات رجعت بعدها إلى إيران لم أترك مجلس السيّد القاضي».

- زينب عليها السلام ليلة الحادي عشر لم تترك صلاة الليل.

سبحــان الله ما أعظم هؤلاء الّذين صحبــوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، إنّهم أولياء الله حقّاً والحوراء زينب عليها السلام من رموزهم.

في ليلة الحادي عشر وما أدراك ما ليلة الحادي عشر؟

نساء وأطفال، أرامل ويتامى، ذعر.. رعب.. قلق.. فقدان للحامي.. فقدان للرأفة والرحمة من القلوب الجافية الغليظة الّتي لم يبق فيها ذرّة من إنسانية، جوع، عطش، نظر إلى المجهول...

أجساد مطرّحة على وجه البيداء لا تزال تنزف مزمَّلة بدمائها..

في هذه الأجواء.. الّتي بمجرّد تصوّرها يدخل الرعب، والألم، والأسى في القلب، كانت زينب عليها السلام وما أدراك ما زينب وما كان دور زينب؟

هي قائدة قافلة الأسرى والحارسة لها..

هــي الراعية والحاضنــة للأطفال واليتامــى.. والجامعة لهم بعــد أن هاموا على وجوههم في البيداء...

هي المتعثّرة بأذيالها متردّدة من جهة إلى جهة..

السياط تتلوّى على متنيها.. الأشواك تُدميها.. قلبها يلتهب ناراً..

فــي هــذا الخضمّ وهذه الأجواء الّتــي كلّ ما فيها يدعو إلى الرهبــة والألم والقلق والتــي كان الجهد فيها والضنك والتعب يستوعــب الكيان ويهدّ الأركان توجّهت زينب إلــى ربّها ولم تترك صــلاة الليل، إلا أنّها كانت منهكة فــي جهد لا يوصف، فلم تطق بأبــي وأمي أن تؤدّي صلاة ليلها من قيام، لم يكــن لديها طاقة على القيام، ولكن لم يصدّها ذلك عن إقامة الصلاة، فصلّت صلاة الليل من جلوس.

سلام الله عليك يا زينب...

اللهم اجعلنا من محبّيها وارزقنا التأسّي بها واحشرنا معها يا ربّ العالمين.

-الإمام الخمينيّ قدس سره وصلاة الليل

يقول أحد المقرّبين من الإمام الخمينيّ قدس سره: إنّه منذ خمسين سنة لم يترك صلاة الليل في حال الصحة أو المرض، في السجن وفي الأحوال الاعتيادية، أثناء النفي وحتى على سرير المرض كان يُصلّي صلاة الليل.

مرض قدس سره في قُمّ وبناء على أمر الأطباء كان لا بُدّ أن ينتقل إلى طهران. وكان الجو بارداً وكان الثلج والمطر يتساقطان، والجليد يُغطّي الشوارع، وبقي قدس سره عدّة ساعات في سيارة الإسعاف، وبعد الوصول إلى مستشفى القلب صلّى أيضاً صلاة الليل.

– وفي ليلة قدومه من باريس إلى طهران كان الجميع في الطائرة نياماً بينما الإمام قدس سره كان في الطبقة العليا من الطائرة يُصلّي صلاة الليل...وكان يبكي بحيث إنّ مضيفي الخطوط الفرنسية تعجّبوا وسألوا هل هناك ما يؤذيه..

فقال أحد من كان يرافقه إنّها عادته في كلّ ليلة.

– وعندما اعتقل في قُمّ ونُقل إلى السجن زمن الشاه صلّى صلاة الليل بحيث قد أبكى بعض من كان معه..!



السيّد بحر العلوم يرفض متابعة التدريس لطلّاب لا يصلّون الليل

كان قدّس سرّه يتجـوّل فـي كلّ ليلـة في أزقّة النجـف ويحمل الطعام للفقـراء.. ومرّة عطّـل الدرس عدّة أيّام فكلّفني الطلّاب (والكلام للمولى السلماسي أحد الملازمين للسيّد) أن أستوضحه السبب وعندما سألته قال: لا أدرِّس.

وبعـد عـدّة أيّام سألته مجدّداً عن سبب تعطيل الدرس قـال: لم أسمع أبداً هؤلاء الطـلّاب يناجون الله تعالى في منتصف الليل ويتضرّعون ويبكون..مع أنّي أتجوّل في الليالي في الأزقّة، هؤلاء الطلّاب لا يستحقّون أن أُدرِّسهم.

وعندمـا اطّلع الطلّاب على ما قاله رحمه الله انصرفوا إلى صلاة الليل والتضرّع والبكاء، واستأنف السيّد درسه.

قصص العلماء، ص١٧٣-١٧٤.

الفهرس